obeikandl.com

الجزء الرابع

محاولات الإبادة وأمل جديد

اليهود إبان الثورة الروسية وفي عهد الاتحاد السوفييتي

أثناء الحرب العالمية الأولى، لعب الكثير من اليهود دوراً هاماً في الحركة الثورية والديموقراطية المتصاعدة. كان الكثير من المنتمين لجناح اليسار من اليهود. كان اليهود أعضاء نشطين في المنظمات التي سعت لتوفير الإغاثة لضحايا الحرب أو كانوا منشغلين بمشكلات فترة ما بعد الحرب- مثل القضايا الاقتصادية. كان اليهود أيضا منخرطين في الجماعات السياسية من اتحاد العمال اليهودي وبوال تسيون مرورا بالأحزاب الاشتراكية المختلفة إلى البولشيفيك وهو الجناح الأصولي في الديموقراطية الاشتراكية الروسية. وقد قام القليل من اليهود الموسرين الرواد بدعم هذا الموقف. من المؤكد أنهم كانوا منخرطين في العمل الإنساني غير أنهم كما جرت العادة لم يريدوا ان يكون لهم شأن بالسياسة. علاوة على ذلك فقد كانوا بطبيعة الحال يخشون من اندلاع ثورة وبالتالي من فقدان نفوذهم داخل في الجماعات اليهودية التي كانوا يرأسونها كزعماء للجماعة أو في مكانة هامة مشابهة.

أخيرا أنهت ثورة فبراير من عام ١٩١٧ الوضع القانوني الخاص لليهود. عندما فاز البولشيفيك الذين أصبحوا يطلقون على أنفسهم في ذاك الوقت الشيوعيين بالسلطة كنتيجة لما يطلق عليه اسم "ثورة

أكتوبر" بعيد ثورة فبراير بقليل، أكدوا على مساواة اليهود في الحقوق. رغم ذلك، لم تكتب لمعاناة اليهود النهاية بعد. كانت أول منطقة ملتهبة أوكرانيا. نالت هذه المنطقة استقلالها نتيجة لاتفاقية سلام بريستليتوفيسك بين ألمانيا الامبراطورية وروسيا السوفييتية. كان هناك صراع عنيف على السلطة بين فصائل مختلفة وبين البولشيفيك الذين ادعوا شرعية حكمهم وناشدوا الجيش الأحمر لنصرتهم. وقد استغلت بعض القوى المناهضة للشيوعية الصراع التقليدي الذي وجد منذ عام ١٦٤٨ والذي أثار الفلاحين والجنود ضد اليهود مساوين بينهم وبين الشيوعيين. تبع هذا مذابح بشعة. انخرط جنود "الجيش الأبيض" بزعامة أنطون إ. دينيكين (١٨٧٢- ١٩٤٧) والإيتمان سيمون بيتليورا (١٨٧٩- ١٩٢٦) في هذه المذابح بشكل كبير. بالنسبة لليهود كان جنود الجيش الأحمر مخلصيهم رغم أنه في أثناء هذه الصراعات القاسية لم يأمنوا أي جانب.

في عام ١٩٢٠، بعد العديد من المواجهات المسلحة وعروض السلام السوفييتية حين بدا أن البولشيفيك كانت لهم اليد العليا في أوكرانيا اندلعت الحرب بين بولندا وروسيا السوفييتية. في بولندا أمل الكثيرون في استعادة حدود عام ١٧٧٢. في البداية تقدمت القوات البولندية أقصى الشرق. مرة أخرى قتل الكثير من اليهود في مذابح شاملة. قام الجيش الأحمر بهجوم مضاد وتقدم على طول الطريق إلى وارسو على أمل أن يحمل التطور العالمي إلى الغرب. تم التوصل إلى هدنة بعد هجوم بولندي مضاد. في عام ١٩٢١ تم أخيرا التوصل إلى اتفاق سلام؛ الأمر الذي أذاع شيئاً من الهدوء بين الشعب في المناطق المتنازع عليها وبين اليهود أيضا في السنوات القليلة التالية.

من منظور قانوني، كان وضع اليهود في روسيا في هذا الوقت أفضل مما كان عليه في أي وقت مضى. رغم هذا سريعا ما ظهرت مشكلات جديدة. كان أول من عانوا من هذه المشاكل أصحاب

الأعمال اليهود الذين سقطوا ضحية لتأميم الصناعة منذ يونيه عام ١٩١٨. ثم عانى الوسطاء بعد ذلك، الوسطاء التقليديين: أثناء الحرب الأهلية انخفضت معدلات التبادل ما بين الريف والمدن بشكل كبير أو تم تنظيمه من جانب الدولة. بذا فقد اليهود وظيفتهم وأصبحت الشتيتلات مهجورة. تم اتهام الكثير من التجار اليهود بأنهم مضاربون وأحيانا كان يتم إعدامهم رميا بالرصاص.

صحب عودة الرأسمالية الخاصة بعض الازدهار منذ عام ١٩٢١ تحت ما يطلق عليه اسم السياسات الاقتصادية الجديدة. في عام ١٩٢٦- ١٩٢٧ شكل اليهود الذين بلغ عددهم ٢.٧ مليون نسمة في الاتحاد السوفييتي ٢% من إجمالي عدد السكان و٨% من عدد من يقطنون الحضر و٢٠% من رجال الأعمال و٤٠% من أصحاب الحرف اليدوية. مع التحول المتسارع إلى الصناعة والجماعية أو الاشتراكية ناهيك عن الستالينية منذ نهاية عشرينيات القرن العشرين، تغير الموقف مرة أخرى. تم حظر المشاريع الخاصة تماما. أعلن أن الكثير من اليهود أعداء الطبقة الأرستقراطية وخسروا حقهم في الانتخاب والالتحاق بالتعليم العالي والحصول على الرعاية الطبية وبطاقات التموين الغذائي.

على الجانب الآخر، كانت الفرصة سانحة الآن للكثير من اليهود الذين كانوا إلى ذلك الحين بلا وظيفة للعثور على عمل في المؤسسات الصناعية الجديدة سريعة الإنشاء أو الاشتراك في مشاريع الإعمار. في البداية كانت تعرض على اليهود أراض للاستيطان في جنوب روسيا أو في شبه جزيرة القرم كي يكونوا على صلة بالمراكز التقليدية لليهود. كان أعضاء البوند السابقون والجماعات الصهيونية المنتمون للجناح اليساري نشطين في هذا الصدد مثل "القطاع اليهودي" داخل الحزب الشيوعي. بعد قيام الاحتجاجات في المناطق التي يهمها الأمر، قررت زعامة الحزب عام ١٩٢٨ إعطاء الأفضلية لمدينة

بيروبيدزان في أقصى شرق روسيا التي تطل على المحيط الهادي. كانت المصلحة الاستراتيجية لتأمين الحدود أيضا وراء صدور هذا القرار إلى جانب حقيقة أن اليهود بهذه الطريقة يمكن دمجهم بصورة أيسر في آسيا عنه في بيئتهم المعتادة. بيد أنه بسبب المناخ القاسي كان يتعين تقديم عدد من الحوافز من أجل اجتذاب سكان لتعمير هذه المنطقة. كان من المفترض أنهم قادرون على خلق "المنطقةٍ اليهودية" الخاصة بهم كبديل للدولة اليهودية الغائبة في إسرائيل– وفقا لنظرية الجنسيات السائدة التي تقول أن كل أمة تحتاج إلى أراضيها الخاصة بها. بطبيعة الحال، كان من المتوقع جني فوائد دعائية من وراء هذا. رغم ان هذه الخطة لم تكن ناجحة للغاية– فالمنطقة كانت منفرة بدرجة كبيرة– في عام ١٩٣٤ تم إعلان بيروبيدزان "منطقة يهودية مستقلة" وظلت هكذا حتى يومنا هذا. لا يمثل اليهود سوى أقلية بين سكان هذه المنطقة غير أنه لا تزال هناك صحيفة تصدر باللغة اليديشية ولازال هناك تعليم للغة اليديشية بالمدارس من المفترض أن الثقافة اليديشية بوسعها التطور. بهذا أثيرت مسألة العلاقة بين سلطة السوفييت واليهود.

في السنوات الأولى التي أعقبت ثورة أكتوبر كان هناك الكثير من اليهود بين قادة الشيوعيين: تروتسكي وزينوفييف وكامينيف وسفيردلوف ولوف ورادك وريازانوف وغيرهم كثيرون. تم تعيين اليهود في مناصب هامة في المكاتب العامة ونظام التعليم زإدارات الشركات وغيرها من الأماكن. كان من شأن هذا إثارة كراهية خصومهم ودعم المقولة بأن اليهود شيوعيون (والعكس صحيح).

كان هؤلاء اليهود مندمجين: كانت الأفكار الاشتراكية وثورة العالمية والصراع الطبقي بالنسبة لهم أهم من المسائل القومية والدينية التي تجابه اليهود. لجأ يهود آخرون إلى الاندماج من أجل تحقيق الرقي الاجتماعي. بيد أن معظم اليهود السوفييت ظلوا راغبين عن

الاندماج. في عام ١٩٢٦ تخلى حوالي ٧٥% من اليهود عن اليديشية كلغتهم الأم غير أنه يجب التعامل مع هذه النسبة بالحيطة. فاليهود لم تسر أمورهم بسلاسة على الإطلاق: فنتيجة للإلحاد القائم في النظريات وعلى أرض الواقع العملي، حدث اعتداء صريح على الدين في السنين الأولى التي أعقبت عام ١٩١٧: حيث منع تعليم الدين أو حتى تعليم اللغة اليديشية. منع الحاخامات من تأدية مهامهم. علاوة على ذلك، أجبر تطور الدولة أحادية الحزب واحتكار الشيوعيين للسلطة السياسية الأحزاب السياسية اليهودية، وأيضا بعض الجماعات كالصهيونية، على هجر أنشطتهم. بخلاف ما حدث في بولندا، حل الحزب الشيوعي محل البوند في وقت مبكر عام ١٩٢٠ أثناء فترة "شيوعية الحرب" وهاجر الكثير من أعضاء البوند. تم حل آخر حزب يهودي- وفي الوقت ذاته آخر الأحزاب باستثناء الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي بصفة عامة- بوال تسيون في عام ١٩٢٨. إلى ذلك الحين، كان بوسع *الهالوتسيم* أو "الرواد" في المستوطنات ذات التنظيم الاشتراكي الاستعداد للحياة في دولة صهيون المستقبلية. سعى "القطاع اليهودي" إلى أن يمحو تدريجيا أي شكل من أشكال المنافسة السياسية بنفس القدر الذي أراد به أن يكبح جماح اليهود المتدينين، تى غالبا بصورة أقسى من قادة الحزب أنفسهم.

رغم كل هذا، في البداية تمتع اليهود باستقلالية ثقافية. سمح بإنشاء المدارس والمسارح ونشر المطبوعات اليديشية. أثر الاستقلال الثقافي والمساواة أمام القانون على الكثير من اليهود الذين هاجروا عائدين إلى روسيا. في الأدب والعلوم والصحافة اليهودية كان هناك ازدهار جديد يمكن الربط بينه وبين إرهاصات ثورة ١٩١٧.

في العشرينيات من القرن العشرين، تأثرت الحكومة السوفييتية للغاية بذلك. لقد تفككت الجماعة اليهودية إلى كيانات دينية، بعد هذا الاعتراف المبدئي عام ١٩١٩، وتم تأميم ممتلكاتهم. الآن تم تأسيس السوفييتات (المجالس) في القرى والمدن والمناطق التي سمح فيها باستخدام اللغة اليديشية كلغة إدارة وتم منحها عددا من الحقوق للإدارة الذاتية[١٠٦]. تم اتخاذ تدابير احتياطية ضد النزعات المعادية للسامية.

رغم الكثير من التحفظات- بسبب على سبيل المثال أن ديانة وتقاليد اليهود الذين تشكل لهم الثقافة والحياة اليومية والدين وحدة واحدة كانت قد انقلبت ظاهريا رأسا على عقب- ففي عام ١٩٢٧ أعلن جوزيف روث:

بيد أنه ينبغي على الجميع احترام كيفية تحرير شعب واحد من الاضطرار لمعاناة الذل، وتحرير شعب آخر من إذلال الآخرين كأداة لسوء معاملتهم، وكيفية انقاذ المظلومين من الألم وانقاذ الظالمين من اللعنة التي هي أسوأ من الألم. كان هذا هو العمل العظيم الذي قامت به الثورة الروسية.[٢]

تغير كل هذا في عهد ستالين. تم إلغاء القطاعات اليهودية داخل الحزب الشيوعي عام ١٩٣٠. في خضم الصراع على السلطة في قمة الحزب استخدم ستالين وأتباعه شعارات مناهضة لليهود على نحو خاص. حيث أن بعض خصومهم كانوا من اليهود، كما يقال، لابد أنهم كانوا من المفكرين اليهود المنتمين إلى طبقة البرجوازيين الصغار الذين لم يكن لديهم شيء مشترك مع الطبقة العاملة. تم استغلال

---

[١٠٦] يعطي والتر كازوفمان وصفاً تفصيلياً لمثال الأوديسة في رسالة الماجيستير غير المنشورة الخاصة به. سياسة الأقسام اليهودية في الحزب الشيوعي متخذاً الأوديسا مثالاً، ١٩٢٠- ١٩٢٥. ماقبل التاريخ والمسار (برلين، ١٩٩٤).

فقدان الثقة العام غير المعلن تجاه الكثير من اليهود المتولين لمناصب عليا أو حتى بين المضاربين أو المتربحين من السياسة الاقتصادية الجديدة. سقط عدد لا حصر له من اليهود ضحايا للإرهاب الستاليني، ولعمليات التطهير في الثلاثينيات من القرن العشرين ولم ينج من هذا الفنانون والعلماء. لم تنج من هذا أيضا بيروبيدزان. تم إلغاء الاستقلالية الثقافية باعتبارها "قومية برجوازية" تؤيد المركزية والتروتسكيين المتزايدين- بيد أنه رسميا كان لازال مسموحا بالستخدام اليدشية في بيروبيدزان. بعد اتفاق هتلر-ستالين عام ١٩٣٩، تم تسليم الشيوعيين اليهود الألمان الذين كانوا قد فروا إلى الاتحاد السوفييت إلى الجيستابو. لكن حتى بعد بداية الحرب مع ألمانيا عام ١٩٤١ لم يتوقف تسليم الشيوعيين من اليهود الألمان للجيستابو. على سبيل المثال لم يسلم عضوا البوند فيكتور ألتر وهنريك إيرليش الذين كانا قد فرا من بولندا من هذا الاضطهاد.

أدت الأعمال المناهضة لهم إلى ظهور رد فعل قومي جديد من جانب اليهود. زاد من قوة اليهود ضم أجزاء جديدة من بولندا ورومانيا ومناطق البلطيق إلى الاتحاد السوفييتي عام ١٩٣٩- ١٩٤٠ حيث أضيف مليونا يهودي إلى عدد اليهود الموجودين البالغ ٣ مليون نسمة. أصبحت الحياة داخل الجماعة اليهودية أنشط. زاد من قوة نزعاتهم القومية معرفتهم أن ضمن شركاء النازيين في المناطق التي غزوها كان يوجد الكثير من الأوكرانيين والليتوانيين والرومانيين الذين لم يتخلوا بأي حال من الأحوال عن معاداتهم التقليدية لليهودية. أحيي الأمل في الحكومة السوفييتية بسبب تشكيل "لجنة يهودية مناهضة للفاشية" عام ١٩٤٢ (بصفة رئيسية بغرض حشد التأييد للاتحاد السوفييتي في البلدان الأنجلوساكسونية) التي في البداية دعت إلى إقامة دولة إسرائيل بعد الحرب.

بيد أنه سرعان ما تحطمت هذه الآمال. في روسيا لم يعد تطور الحياة اليهودية ممكنا. على النقيض منذ خريف عام ١٩٤٨، تم استئناف الموقف المعادي لليهود. ترجع بداية هذا إلى يناير ١٩٤٨ إلى جريمة القتل التي أعلن أنها حادث سيارة الممثل الشهير ورئيس اللجنة المناهضة للفاشية سولومون م. مايكولس (١٨٩٠- ١٩٤٨). في أعقاب هذا تم إلغاء اللجنة بوصفها "مناهضة للسوفييت"، أعيد تأهيلها رسميا فقط في بداية عام ١٩٨٩ بتوصية من المكتب السياسي. تلا هذا مقتل الكثير من الموظفين اليهود واتهامهم بالضلوع في أنشطة مناهضة للسوفييت والاتصال بالغرب. كان يفترض بهم أن يكونوا جزءا من خطة "إمبريالية" اشتركت فيها أيضا المنظمات "الصهيونية" في إسرائيل. هؤلاء "الكوزموبوليتانيون عديمو الجذور" كانوا متآمرين وجواسيس. مرة أخرى حدثت أعداد لا حصرلها من حالات الإعدام والإبعاد إلى معتقلات التعذيب. انتشرت هذه الموجة المعادية لليهود إلى بلدان أخرى في الكتلة الشيوعية وهناك أيضا تبعها الاضطهاد لهم. كانت من أكثر الأحداث المؤثرة المحاكمات العلنية وأحكام الإعدام للقادة الشيوعيين في تشيكوسلوفاكيا والمجر.

في بداية عام ١٩٥٣ أعلنت مخابرات الاتحاد السوفييتي أنها قد "كشفت" عن مؤامرة ضلع بها العديد من الأطباء البارزين تهدف إلى قتل قادة الاتحاد السوفييتي وعلى رأسهم ستالين. "بمحض الصدفة" كان معظم أعضاء هذه المؤامرة المزعومة من اليهود. يعتقد أن هذه المؤامرة كانت بتمويل من جهاز المخابرات الأمريكي والمنظمات اليهودية الدولية. واجه الأطباء المعتقلون خطر الإعدام. علاوة على ذلك، سرت الشائعات بأن ستالين أراد طرد جميع اليهود من القسم الأوروبي بالاتحاد السوفييتي. لحسن الحظ توفي ستالين في مارس عام ١٩٥٣. تم إعادة تأهيل الأطباء المعتقلين وإطلاق سراحهم. بعد هذا اختفت المعاداة للسامية من جانب الدولة رغم أنها ظلت

دفينة. عاش حوالي ١٠٨ مليون يهودي في الاتحاد السوفييتي رغم أن تقديرات أخرى تشير إلى أن العدد كان أكبر من هذا. ظل التمييز ضد اليهود قائما فيما يتعلق بممارسة الشعائر الدينية وكذلك إدخال القومية اليهودية في جوازات السفر؛ الأمر الذي كان من شأنه أن يعرضهم للمضايقات دون تعويضهم بالذكر الصريح للقومية. خلقت الصلة بإسرائيل جوا من عدم الثقة كما كان من العسير مغادرة البلاد. فيما بعد، بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، ازداد عدد المهاجرين زيادة ضخمة خاصة وأن الكثيرين شعروا بالتهديد من قبل معاداة السامية السافرة التي كان يعرب عنها الآن بلا مداراة. على الجانب الآخر، أصبح بإمكان الجماعة اليهودية الآن عيش حياة فكرية ودينية طبيعية مرة أخرى. بدأ التفكير في الهوية اليهودية بحماسة شديدة وبدأ المزيد من الناس يهتمون بالتاريخ اليهودي والثقافة اليهودية.

القومية اليهودية الشرق أوروبية وموجات جديدة من معاداة السامية: اليهود في بولندا ما بين الحربين العالميتين

إبان الحرب العالمية الأولى عانى اليهود في بولندا معاناة شديدة في ظل الحكم الروسي الذي تشكك في تآمرهم مع الألمان. قامت الحكومة بإلغاء منطقة الاستيطان كنتيجة للتقدم الألماني، وتم ترحيل الكثير من اليهود إلى وسط روسيا.

واصل الديموقراطيون الوطنيون البولنديون كعادتهم إثارة الاضطرابات المناهضة لليهود غير انهم الآن لم يوجهوا انتقاداتهم اللاذعة لحب "اللاتفيين" لروسيا وإنما لحب جميع اليهود لألمانيا. مرة أخرى وجد اليهود أنفسهم هدفا للهجوم من جميع الأطراف. في هذا الجو الملتهب، تمنى البولنديون إقامة دولة مستقلة كنتاج للحرب. حتى الاتهامات التي ماتلت ما أشيع عنهم في العصور الوسطى، بأن اليهود كانوا يسممون المجاري المائية أو الحليب، كانت تجد آذانا

مصغية. كثرت الأحداث المناهضة لليهود. ما بين صفوف الجماعات السياسية البولندية قامت صراعات عنيفة تتعلق بمكانة اليهود في الدولة البولندية المستقبلية. أثناء هذه الصراعات ظهرت مرة أخرى أنماط جدلية تقليدية في هذا الشأن. على سبيل المثال، تم التمييز بين اليهود المندمجين والذي كان من الممكن التعاون معهم وبين اليهود الأرثوذوكس أو الحسيديين الذي لم يكن التعاون ممكناً معهم. بنهاية ديسمبر ١٩١٦، ذهبت السلطات المحلية لمدينة وارسو إلى حد حظر هؤلاء الأشخاص الذين لا يرتدون "ملابس نظيفة أو مهندمة أو أوروبية" من ارتياد المنتزهات الجذابة على وجه الخصوص؛ ويعني بذلك هؤلاء الذين يرتدون الرداء اليهودي التقليدي. كان الاعتقاد السائد أن المرء يعبر عن موقفه من الاندماج من خلال اختياره لما يرتديه وآليت السلطة على نفسها أن تأخذ إجراء بهذا الشان. لم يتم تخفيف مثل هذه الإجراءات سوى بعد احتجاجات صارخة. جرت صراعات مماثلة في مناطق أخرى. مرارا وتكرارا كانت القلاقل التي تثار نتيجة لأمر لا صلة له باليهود من قريب أو بعيد تستفحل إلى حد نهب المشاريع التجارية الخاصة باليهود. ساءت العلاقات بين اليهود والبولنديين أشد السوء. إبان الاضطراب الذي نجم عن إقامة دولة قومية منذ نوفمبر من عام ١٩١٨، تفجرت التوترات المتراكمة. أدان التجار البولنديون والجماعات الطلابية اليهود، ناعتين إياهم بأصدقاء الألمان والديموقراطيين الاشتراكيين أو البلاشفة. في عام ١٩٢٠ نشرت في بولندا أيضا "بروتوكولات حكماء صهيون" الزائفة التي كان من المفترض أن تثبت وجود خطة وضعها اليهود ليحكموا العالم. سريعا ما تصاعدت الهجمات ضد اليهود لتتضمن القيام بأعمال عنف وجرائم قتل وتنفيذ الإعدام وارتكاب المذابح. حتى الجيش البولندي ساهم في هذا، خاصة الوحدات التي كانت تحت إمرة

الجنرال جوزيف هالر (١٨٧٣- ١٩٦٠) الذي أصاب شهرة واسعة أثناء النضال من أجل نيل استقلال بولندا. أدان الكثير من البولنديين هذه التجاوزات حتى في البيانات العامة. بيد أنه في ذاك الوقت حين كان البولنديون يناضلون من أجل نيل الاستقلال وكان عليهم الكفاح لترسيم حدودهم، كان من الصعب على الكثيرين تفهم وقبول حقيقة أن اليهود أصبحوا في ذات الوقت على وعي بقوميتهم الخاصة، وفقط في حدود هذا الإطار أرادوا المطالبة بمكانة في المجتمع وبمطالب مماثلة لتلك التي تقدم بها البولنديون قبل عام ١٩١٤ ضد روسيا والمملكة النمساوية المجرية وألمانيا. طالب مجلس قومي يهودي في ذلك الوقت الاعتراف باليهود كأقلية قومية تتمتع باستقلالية ثقافية وقومية رغم أن هذا المطلب لم تدعمه جميع المنظمات اليهودية. بدا أنه لا مخرج من الدائرة المفرغة التي ظهرت إلى حيز الوجود. في البداية تعامل اليهود بحذر شديد مع الدولة الجديدة بسبب الأحداث العديدة الناشئة عن معاداة السامية والافتقار اللتقليدي الشائع بين اليهود للاهتمام بالشئون السياسية. اعتبر الكثير من البولنديين هذا الأمر تأكيدا على اتهامهم بأن اليهود يفتقرون للوطنية. كانت عاقبة هذا تدهور المناخ العام للبلاد بشكل أكبر.

في ظل القلاقل المثارة في هذه الفترة، تم توجيه الحنق الناجم عن الفقر وارتفاع الأسعار إلى اليهود بما يتفق مع الأفكار القديمة المسبقة: أنهم مرابون وكانزون للأموال ومفسدون للأمة. عوضاً عن هذا، اعتبر اليهود خصوما سياسيين شكلوا خطرا على النظام الجديد. في جاليشيا في عام ١٩١٨- ١٩١٩ تمرد الفلاحون على التجمع التقليدي لليهود وطبقة الإقطاعيين البولنديين. يعزى هذا الموقف الآن إلى الجدل "المعاصر" حول "المؤامرة البولشيفية".

لكن حتى تحت مستوى العنف المحض، ازداد التمييز ضد اليهود. أثر هذا على سبيل المثال على التعيين في الوظائف العامة

وفي النظام التعليمي وانطوى حتى على محاولة لإدخال قيد يحدد النسبة المئوية لليهود الذين يمكنهم الالتحاق بالتعليم الثانوي. بوجود قانون يفرض إغلاق المحال يوم الأحد، تلاشت المنافسة اليهودية لأن اليهود اضطروا للتوقف عن التجارة ليومين كل أسبوع. مما يعبر عن موصلة معاداة السامية من قبل الكنيسة.

فيما يتصل بمفاوضات فرساي للسلام، تبنت كل من بريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة قضية حقوق اليهود في بولندا. كان لظهور الديموقراطي الوطني رومان دموفيسكي (١٨٦٤-١٩٣٩)، الذي أراد تحجيم مثل هذه الحقوق والتعتيم على أعمال العنف الموجهة ضد اليهود، تأثير كبير. في ١٨ يونيه ١٩١٩ اضطرت بولندا للتوقيع على اتفاقية تضمنت حماية اليهود كأقلية. في بولندا نفسها لم يزد هذا تماما من التعاطف العام مع اليهود. على النقيض، أدى هذا إلى اندلاع موجة جديدة من مشاعر الكراهية لليهود.

فيما يتصل بالحقوق السياسية، اشتدت المشاعر الدفينة المعادية للسامية. احتل الديموقراطيون الوطنيون- أي دموفيسكي وجنرال هالر- الصدارة في هذا الصدد. لم تكن دوافع الكراهية لليهود عرقية فقط بأي وجه من الوجوه، بل في مناحي كثيرة جاءت الكراهية نتيجة لاعتبارات "براجماتية"- على سبيل المثال كوسيلة لجذب أصوات المزيد من الناخبين في ظل القلاقل السائدة بالبلاد. كان يسمح "لليهود الصالحين" بالانضمام إلى الحزب. تحمل هؤلاء اليهود في أكثر من مناسبة مسئولية أشد الهجمات المريرة على اليهود- وهو ما يعد تعبيرا آخر عن "كراهية الذات" عند اليهود. مثل الديموقراطيون المسيحيون عداءً لليهود ذي دوافع دينية. ذاعت أيضا المعاداة للسامية بين أحزاب الفلاحين وفي بعض الجماعات الأصغر. على الجانب الآخر، حاول ممثلو الفلاحين التخفيف من حدة هذه المشاعر من خلال إدانتهم لأعمال العنف،

واتخاذ إجراءات ضد توجيه الاتهامات غير المبررة لليهود. دافع الاشتراكيون عن منح اليهود حقوقا متساوية. بالنسبة لهم، كانت المعاداة للسامية أداة يستخدمها اليمينيون في الصراع الطبقي. بيد أن عالم اليهود ظل غريباً عليهم لأنه لم يتسق مع خطتهم النظرية. من الناحية السياسية كان الاشتراكيون يحاربون ضد القومية اليهودية التي كانت قاتلة ايديولوجيا حيث مثلت تشتيتا للانتباه بعيدا عن الصراعات الاجتماعية وكانت سببا لإثارة مشاعر المعاداة للسامية. كانت هناك أيضا صراعات بين الاشتراكيين البولنديين وبوند (اتحاد) العمال اليهود.

في الجمهورية الجديدة، نظم اليهود أيضاً أحزاب سياسية في جميع الاتجاهات. بالنسبة للبوند، ظل الصراع الطبقي يحتل الصدارة، غير أنه طالب أيضا بالاعترافٍ باللغة اليديشية وحق الإدارة الذاتية. بصورة ما تقبل البوند أيضا القومية اليهودية الشرق أوروبية. بيد أنه لم يكن بوسعه – يرجع هذا بشكل كبير إلى خصائص قانون الانتخاب التي لم تكن مواتية لذلك– الفوز بمقعد في البرلمان البولندي. لاقي التحالف بين جميع منظمات الجناح اليساري الذي طالما سعى إليه البوند نجاحا كبيرا. كان يتمثل مبدأ الدوبيكيت أو "أن تكون هنا" الذي أيدته جميع الأحزاب اليهودية بوضوح في حزب الشعب اليهودي ("الشعبيون") الذي تم تأسيسه عام ١٩١٦ بشكل منفصل من أجل بولندا إلى جانب المنظمة الروسية القائمة بالفعل. تم الاعتراف سيمون دينوف كمرجعية فكرية هنا أيضا. إضافة غلى اليدشية كلغة إدارة، طالب هذا الحزب بكفل حق التمثيل النسبي في الوظائف الحكومية والتمثيل اليهودي المستقل. غير أن موقف الحزب الذي اتسم بالعداء الشديد أثار ردة فعل مناهضة لليهود وظل مؤيدوهم اليهود قلة. في البداية شكلت الجماعات الصهيونية أقوى القوى السياسية الحزبية. في الانتخابات الأولى حصدوا غالبية أصوات

الناخبين اليهود. بيد أنهم كانوا لا يزالوا يعانون من الانقسامات الداخلية من الجماعات المختلفة لجماعة بوال تسيون الاشتراكية إلى الجماعة الدينية مزراحي. وحتى أكثر الجماعات المؤثرة سياسيا حزب الصهيونيين العموميين تعرضت للانشقاقات الداخلية بين جناحي "الجاليشيين" و"الروسيين" في المقام الأول. تعزى الأسباب إلى كل من الصراعات الشخصية والتقاليد التاريخية والعلاقات الإقليمية المتباينة بين كل من جاليشيا ومملكة بولندا، بما فيها تاريخ الجماعات الصهيونية هناك. اجتمع حزب الصهيونيين العموميين - بخلاف تأييدهم لإقامة "وطن" في فلسطين- على "عمل الحاضر" ألا وهو تحقيق الاستقلالية القومية في بولندا نفسها وتحسين وضع اليهود المقيمين هناك. لكن اختلفت الآراء حول الطريقة الصحيحة لفعل هذا. انتهجت الجماعة التي أحاطت بييتساك جرونباوم (١٨٧٩-١٩٧٠)، الذي كان لفترة ما المتحدث الرسمي باسم جميع اليهود البولنديين، سياسة تنأى عن التنازلات. هدفت هذه السياسة إلى بناء مكانة قوية في الدولة خاصة من خلال التعاون الفعال على جبهة الأقليات القومية. على الجانب الآخر، كان "الجاليشيون" بزعامة ليون رايش (١٨٧٩- ١٩٢٩) وأبراهام أوزاياس ثون (١٨٧٠-١٩٣٦) يميلون إلى إظهار قدر أكبر من المرونة وتسوية الخلافات مع الحكومة والأحزاب السياسية البولندية لتحقيق مآربهم. تبنى الجاليشيون وجهة النظر التي مفادها أنه بسبب إرثهم التاريخي- أي فترة التسامح الطويلة في المملكة البائدة- كان البولنديون أقل معاداة للسامية من أهالي أوكرانيا وروسيا البيضاء. بالتالي لن يكون من الحكمة استثارة رد فعل معاد لليهود من جانب الجماعات البولندية بالانخراط في تكتلات الأقليات القومية.

في هذا الصدد، ("اتحاد إسرائيل") الذي تجمعت فيه الأحزاب الأرثوذوكسية الدينية والذي كان على يقين بأنه يمكنه التعويل على

أعداد كبيرة من المؤيدين- انتهج موقفاً سياسياً مشابهاً لهذا. حيث أنه كان من الممكن لوضع اليهود أن يتحسن بشكل جذري – من وجهة نظرهم- من خلال الخلاص المشياحي فقد تعلقت آمالهم بتحقيق أفضل النتائج عبر التزام الحيادية السياسية ودعموا الحكومة البولندية. بيد أنهم بهذه الطريقة لم يتمكنوا من تشكيل قوة سياسية موازنة للجناح اليميني.

أضحى الصراع اليهودي – البولندي ومعاداة السامية أداة سياسية واضحة خصوصا أثناء انتخابات ١٩٢٢ وما تلاها من أحداث. بعد الجهات المؤقتة السابقة- حين لم يكن الأمر قد استقر على ترسيم الحدود بعد- كان البولنديون آنذاك ولأول مرة ينتخبون أعلى هيئاتهم الدستورية :البرلمان أو السيميم ومجلس الشيوخ ورئيس مجلس الشيوخ، في الحملة الانتخابية لعبت المناصب السياسية المعارضة دورا محوريا كما كان الحال ١٩١٨- ١٩١٩. مثل الديموقراطيون الوطنيون "الفكرة البياسية للدولة": فبدلاً من التوسع نحو الشرق أرادوا التوسع نحو الغرب كما يجب منح الحقوق السياسية فقط لهؤلاء ذوي الجنسية البولندية. انضم إلى الجبهة المعارضة لهم عدد من الجماعات : الاشتراكيون ، وبعض المنظمات المعتدلة وأيضاً كتلة الأقليات القومية بعددها الكبير من السياسيين اليهود. لقد مثلوا سياسة نشطة وإن لم تكن عدائية على نحو خاص نحو الشرق- "الفكرة الجاجيلونية للدولة"- اتحاد لجميع دول شرق أوروبا ومنح حقوق سياسية للأقليات. لذا اتم رفض هذه الأفكار باعتبارها "غير قومية" رغم أنه كانت تدب بينهم الخلافات فقد اعتبرهم اليمين وحدة واحدة. نتيجة لذلك، استقطبت الحملة الانتخابية دموفسكي وجوزيف بيلسوديسكي (١٨٦٧- ١٩٣٥). لعبت عملية تشويه السمعة المنبثقة عن العداء للسامية دورا هاما في الصراعات.

لقد حصل الجناح اليميني على أصوات أقل مما تمنوا في الانتخابات. جاءت الهجمات الضارية والحملات الحقودة العاتية على اليهود نتيجة لذلك. كان يقال أنه يتعين حرمان اليهود من نفوذهم السياسي وإن أمكن حرمانهم من الحق في الانتخاب مرة أخرى. حين أقام السيم أو البرلمان ومجلس الشيوخ انتخابات رئيس البلاد، اتهم الوطنيون مرشح المعارضة بأنه "رئيس لليهود"، لأن أصوات اليهود لعبت دورا حاسما في فوزه بالانتخابات. استقال بيسودسكي لأسباب غير واضحة وترشح بدلا منه جابريل ناروتوفيتش (١٨٦٥- ١٩٢٢) وعن حزب اليمين ترشح الإقطاعي الكبير موريسي زامويسكي (١٨٧١- ١٩٣٩) الذي لم يلق قبولا لدى أحزاب الفلاحين. نتيجة لذلك، تم انتخاب ناروتوفيتش رئيسا للبلاد في ٩ دسمبر ١٩٢٢. جاءت ردة فعل جناح اليمين على هذه الهزيمة الانتخابية بشن أعنف الهجمات ضد اليهود رغم أن موقف أحزاب الفلاحين في الانتخابات كان هو العامل الحاسم. ذكر هذا بما حدث في انتخابات الدوما التي أقيمت عام ١٩١٢. أدت الخطب الحماسية - على سبيل المثال خطبة جنرال هالر- إلى إثارة القلاقل في وارسو. عندما تعرض الاشتراكيون للهجمات العنيفة، أدى تبادل إطلاق النار إلى إراقة الدماء. في السيم كانت هناك مشاهد عنيفة. وصلت الكراهية إلى أوجها في ١٦ دسمبر باغتيال ناروتوفيتش على يد الفنان نيفيادومسكي الذي أعلن أنه كان ليقتل أي شخص يتولى مقاليد الحكم من خلال اليهود. مثل الاغتيال حالة نموذجية لشخص ساذج مثالي تم تحريضه على العنف. بعد الصدمة الأولى، قام جناح اليمين بالمأثرة العظيمة وهي قلب الأحداث الواقعية رأسا على عقب. وفقا لهم، ينحى باللائمة على اليهود والاشتراكيين - خاصة "اليهود البلاشفة"- في حادث الاغتيال هذا. لأنهم

حرضوا عليها بسلوكهم. فيما بعد تم تمجيد القاتل المدان كبطل قومي ومنقذ للوطن.

رغم هذا، شهدت السنوات التالية تراجعاً لمشاعر المعاداة للسامية الصريحة. بعد الانقلاب الذي تلا الفوز الكاسح لبيلسودسكي عام ١٩٢٦، انتهت الصراعات القومية. رغم النظام الفاشستي ، في البداية أصبحت العناصر الديمقراطية أقوى من ذي قبل. أثناء هذه الفترة تم منح عدد من الامتيازات لليهود. على سبيل المثال، أقرت الدولة الحيدر- المدرسة اليهودية الابتدائية. دعمت الدولة تأثير المذهب الأرثوذوكسي في الجماعات اليهودية، وبدورهم قام أتباع المذهب الأرثوذوكسي بتأييد الحكومة. تم التوصل إلى اتفاق مع نظام جرابسكي الحاكم عام ١٩٢٥ غير أنه لم يتسنى تنفيذه بسبب الانشقاق التام بين الجماعات اليهودية المختلفة.

تدريجيا، ساد شعور عام بأنه رغم إحراز بعض النجاحات لن تتمكن الأحزاب السياسية اليهودية من تحقيق الكثير من خلال العمل البرلماني. نتيجة لذلك، تنبه المزيد من اليهود إلى الدعوة الصهيونية لبناء مجتمع يهودي في فلسطين. لو كان مؤيدو الأفكار الصهيونية الاشتراكية قد شكلوا القسم الأكبر من أصحاب العودة الثانية إلى فلسطين ما بين عامي ١٩٠٤ و١٩١٤ والعودة الثالثة ما بين عامي ١٩١٩ و١٩٢٣ فلأول مرة في العودة الرابعة، كان أغلب المهاجرين من الطبقة الوسطى البولندية. ساد الإحباط بشأن النشاط البرلماني في انتخابات عام ١٩٢٨ التي منيت فيها الأحزاب اليهودية بالهزيمة. بعد هذا بعام انقسم الحزب اليهودي أخيرا بشأن منازعات تتعلق بالاتجاه الذي يجب اتباعه الآن. في الانتخابات التالية لأعوام ١٩٣٠ و١٩٣٥ خسرت الأحزاب اليهودية اصوات الناخبين مرة اخرى. في السيبم لم يعد لليهود دور هام رغم أنه ظلوا يتمتعون بالتمثيل النيابي حتى الغزو الألماني عام ١٩٣٩.

تعكس هذه التطورات عجزاً معيناً فيما يتعلق بالطريقة المثلى التي يجب اتباعها لتحسين وضع اليهود بطرق برلمانية في ظل الظروف السياسية الراهنة. غير أنه لا يجب فهم هذا ببساطة كإشارة إلى ضعف ويأس الرغبة اليهودية في الحصول على حقوق مساوية ونيل الاستقلال. في الكثير من المدن والمجتمعات كان التمثيل السياسي لليهود قوياً للغاية وإضافة إلى هذا، تجسّد التنوع الثقافي لليهود في بولندا في شكل انتهاج اتجاهات مختلفة.

شكل اليهود الذين بلغ عددهم حوالي ٣ مليون نسمة ما يقرب من ١٠% من إجمالي عدد سكان جمهورية بولندا. في المدن كانوا يشكلون في المتوسط حوالي ثلث عدد السكان، بينما شكلوا في الشرق الغالبية في الكثير من المدن الصغيرة. فيما يتصل بالعمل- تعود هذه البيانات إلى ١٩٣١- شكل اليهود غالبية العاملين في مجال الصناعة والحرف اليدوية وهو ما يمثل حوالي ٤٢% وفي التجارة شكلوا حوالي ٣٧% وعمل ٥% من اليهود في مجال النقل والاتصالات و٦% في المهن الحرة والأعمال الإدارية كما عمل ٦% من اليهود كخدم و٤% امتهنوا الزراعة (وهو ما لا يتوازى مع نسبتهم إلى إجمالي عدد السكان). يمكن التعرف على اهتمامات اليهود في مجالات العمل من خلال حقيقة أن ٦٢% من العاملين بالتجارة كانوا من اليهود و٢٦% من العاملين بالصناعة والحرف اليدوية كما شكل اليهود ٢٧% من العاملين بالطب و٢٠% من العاملين بالتعليم. غير أن الغالبية الساحقة كانت لاتزال تعمل في المشاريع التجارية الصغيرة. تزايدت أعداد الفقراء بين عامة اليهود.

رغم ذلك مرت الثقافة اليهودية بفترة ازدهار أخرى. خاصة اليدشية شهدت انتعاشا يتضح من خلال الأعمال الأدبية الكثيرة المكتوبة بهذه اللغة والإنتاج المسرحي والصحف الصادرة بها. من بين المؤلفين على سبيل المثال لا الحصر نذكر الشاعر التعبيري يوري

تسيفي جرينبورج (١٨٩٦- ١٩٨١) الذي عاش لفترة في مدينة لفوف (ليمبرج) ثم ارتحل بعد هذا إلى فلسطين/ إسرائيل. نذكر أيضا بيريتز ماركيش (١٨٩٥- ١٩٥٢) الذي وقع ضحية للإرهاب الستاليني عام ١٩٥٢ وميليخ رافيتش (اسم مستعار لزاكريا بيرجنر المولود ١٨٩٣) وإسرائيل جوشوا سينجر (١٨٩٣- ١٩٤٤) وأخوه إسحاق باشيفيس سينجر (١٩٠٤- ١٩٩١) الذي حاز جائزة نوبل عام ١٩٧٨. عاش كلاهما في الولايات المتحدة منذ الثلاثينيات من القرن العشرين، يمكن العثور على بعض الاستشهادات من مؤلفاتهما في طيات هذا الكتاب. أبراهام زوتسكيوير (المولود ١٩١٣) ألف عددا من قصائد النثر مع جماعة "شباب فيلنيوس". كما ناضل كعضو حزبي ضد النازيين إبان الحرب العالمية الثانية ورحل فيما بعد إلى إسرائيل. كانت هناك عناصر من الموسيقى الشعبية اليهودية في شعر موردخاي جيبيرتيش (١٨٧٧- ١٩٤٢). كما لعب معهد الييفو للأبحاث اليهودية الذي تأسس في برلين عام ١٩٢٥ دورا محوريا. فقد عمل الكثير من العلماء البارزين في ييفو مثل ماير بالابان (١٨٧٧- ١٩٤٢)- في عام ١٩٣٦ تم تعيينه أيضا بروفيسور في جامعة وارسو. من العلماء أيضا يتسحاق شنيير (١٨٨٤- ١٩٤٣)، موازيس شور (١٨٧٤- ١٩٤١) وآري تارتاكوفر (١٨٩٧- ١٩٨٢). ظل عملهم متفوقا لا تضاهيه أعمال الآخرين. إيمانويل رينجلبلوم (١٩٠٠- ١٩٤٤) الذي أصبح فيما بعد المؤرخ لجيتو وارسو وآرتور أيزنباخ الذي أصبحت دراساته بعد الحرب العالمية الثانية أفكارا تأسيسية لما تلاها من أبحاث حول التاريخ اليهودي في بولندا كان يعمل بهذا المعهد أيضا.

في مجال الرسم والفنون البصرية، سار الفنانون على نهج موريسي جوتليب (١٨٥٦- ١٨٧٩) مؤسس الفن اليهودي المعاصر في بولندا إلى جانب بعض الأعمال المتأثرة بالأفكار الصهيونية مثل أعمال

ليوبولد بيليتشوفسكي (١٨٦٩- ١٩٣٣) وهنريك جليسنشتاين (١٨٧٠- ١٩٤٢) أو فيلهيلم فاشتيل (١٨٧٥- ١٩٤٢). في ذات الوقت، اصبحت قضية طبيعة الفن اليهودي مثار التفكر. ربطت جماعة "الشباب اليديشي" بزعامة يانكيل أدلر (١٨٩٥- ١٩٤٩) وفيما بعد بزعامة هنريك بيرليوي (١٨٩٤- ١٩٦٧) هذه القضية بالاتجاهات الحديثة فيما بين عامي ١٩١٨ و١٩٢١.

كانت هناك أيضا إشارات بالتحول إلى العلمانية والتخلي عن اليهودية. بينما في بولندا الخاضعة لحكم الروسي في عام ١٩٠٠ كان يحضر حوالي ٨٥% من الأطفال اليهود الحيدر، بحلول عام ١٩٣٠ انخفضت النسبة لتصل إلى ٢٣% فقط. فيما يتصل باللغة والزي والملابس والسلوكيات، تشبّه المزيد من اليهود خاصة في المدن الكبيرة بالقواعد البولندية. زادت مطالب اليهود بالتركيز على الحصول على حقوق بكفلها لهم القانون بدلا من مواصلة الحلم بنيل الاستقلالية. على الجانب الآخر وفي نفس الوقت انتهى الكثير من البولنديين إلى قبول قومية يهود شرق أوروبا وحتى "الطبيعة اليديشية" للشعب اليهودي. في الكثير من المذكرات المدونة نجد الكثير من الأمثلة على حسن الجيرة بينهما . غير أنه لا يجب التقليل من شأن نوبات انفجار مشاعر المعاداة للسامية التي كانت تحدث بشتى الطرق، غير ان هذا الانفجار لا يقدم الصورة الكاملة. توضح تعددية الجماعات السياسية في بولندا إمكانات التطور التي كانت متاحة أمام اليهود رغم كل الصعوبات. من الصعب التكهن كيف كان من الممكن لمثل هذه الأمور أن تتطور لو لم يظهر النازيون.

أدت الأزمة الاقتصادية الشديدة التي بدأت بنهاية عشرينيات القرن العشرين وازدياد قوة الأحزاب والحركات المعادية لليهود في جميع أنحاء أوروبا حتى في بولندا إلى إعادة إشعال فتيل المعاداة للسامية التي وصل بها الأمر في النهاية إلى انتهاك السياسات الرسمية.

الديموقراطيون القوميون المشهورون باسم "الإنديك" المأخوذ من الحروف الأولى لاسم الحزب تم تهميشهم في ظل سياسات ("الانعاش القومي"). فاصبحوا حينئذ أكثر أصولية وإلى حد ما روجوا علانية لشعارات فاشستية. كما دعا معسكر بولندا العظمى (OWP) الذي كان مقرباً من الديموقراطيين القوميين إلى القيام بأعمال عنف ضد اليهود. نتيجة لذلك تم وقف هذا المعسكر مرة أخرى.

وجدت المعاداة للسامية تأييداً بين أفراد الطبقة الوسطى والأكاديميين الذين شعروا أن أكثر ما يتهددهم هو الأزمة الاقتصادية التي وقفت حجر عثرة أمام جهود ارتقاء السلم الاجتماعي وتعرضوا بسببها لخطر التحول إلى "البروليتاريا". احتدمت المنافسة مع اليهود. بدأ الاتجاه إلى عدم استعمال اليهود حتى كعمال أو مهندسين. فرضت المقاطعات الاقتصادية على التجار ورجال الأعمال اليهود. في هذا الصدد كان "إتحاد الشريطة الخضراء" المقرب للحزب الديموقراطي القومي ناشطاً بشكل كبير.

فقد نظام الحكم قائده الكاريزمي حين توفي بيلسودسكي عام ١٩٣٥. كي يضمن البقاء، سعى النظام الحاكم لعقد تحالف مع الحزب الديموقراطي القومي ومع جماعات أكثر ميلاً لجناح اليمين. لقد كانت المعاداة للسامية وسيلة فعالة في دعوة الجماعات المختلفة للاتحاد. لم يقبل معسكر الوحدة الوطنية (OZN) الذي تأسس عام ١٩٣٧ كقاعدة شعبية للنظام الحاكم التحاق اليهود كأعضاء به. في العام ذاته ونتيجة للقلاقل المعادية للسامية التي تضمنت الطلبة تم نصب ما يطلق عليه اسم "مقاعد الجيتو" في قاعات المحاضرات بالجامعات وكان على الطلبة اليهود الجلوس عليها. هذا الاستخدام المكثف للتحديد الرقمي الذي كان يستخدم فعلياً من قبل بشكل غير رسمي في العشرينيات من القرن العشرين كان له النتائج التالية:

في عام ١٩٢١- ١٩٢٢ شكل اليهود حوالي ٢٥% من إجمالي الطلبة. غير أنه في عام الدراسي ١٩٣٨- ١٩٣٩ انخفضت هذا النسبة لتصل إلى ٨% فقط. أدخلت الكثير من المنظمات المهنية قواعد معلنة أو غير معلنة حالت في الواقع دون إنضمام اليهود أعضاء بها. في عام ١٩٣٧ وافقت الحكومة أيضا على "إحلال البولنديين محل غيرهم" في الاقتصاد من خلال مقاطعة اليهود من جانب السلطات والكنيسة الكاثوليكية. في عام ١٩٣٦ كان الذبح وفقا لطقوس اليهود والمسلمين والقرائين محدودا في مناطق معينة، غير أن اقتراحا بحظر القيام بهذا النوع من الذبح لم يمكن تنفيذه. في السنوات التالية أدت إثارة العامة إلى حدوث هجمات أسفرت عن سقوط الكثير من القتلى والجرحى. أدت كل هذه الإجراءات وإحياء المناخ المعادي لليهود إلى انغماس السكان اليهود في الفقر بشكل أكبر. أصبح عدد المعوزين أكبر بكثير عن ذي قبل. بما أن اليهود لم يعودوا محتكرين لدور الوساطة الاقتصادية، كان من الممكن الزج باليهود إلى الهامش.

جاءت ردود الفعل على الوضع الجديد في شكل استقالات وارتفاع حوادث الانتحار وبين اليهود ولكن أيضا في شكل نشاط سياسي متزايد. في بداية الثلاثينيات من القرن العشرين، اكتسب المراجعون الصهيونيون الأصوليون الذين طالبوا بصرامة بإقامة دولة في فلسطين – ولو بقوة السلاح– شعبية كبيرة. شارك الكثير من اليهود البولنديين في العودة الخامسة ما بين عامي ١٩٣٢ و١٩٣٩. بيد أنه في عام ١٩٣٦ قامت الانتداب البريطاني بإغلاق الحدود ولم يكن من الممكن دخول البلاد بالطرق الشرعية. بدأ اعتبار سياسة البوند الطريقة الوحيدة لمواجهة معاداة السامية. من الهام في هذا الصدد أن نذكر أن البوند كان قد نظم وحدات للدفاع عن النفس وكان له حلفاء في الأحزاب البولندية اليسارية. أصبح البوند في ذلك الوقت

أقوى حزب يهودي وكان بوسعه أن يحتل المرتبة الأولى بين الأحزاب في المدن الكبرى في الانتخابات المحلية في عام ١٩٣٨ و١٩٣٩. كانت الشكوى العامة خلال هذه السنوات هي ظهور الميل إلى الانحلال الأخلاقي بين اليهود. على الجانب الآخر، هناك الكثير من الأدلة على عودة ازدياد الوعي بالتقاليد والثقافة اليهودية الشرق أوروبية المشتركة حتى بين الكثيرين الذين ابتعدوا عن الديانة اليهودية.

قامت الكنيسة الكاثوليكية بشكل فعال بتشجيع هذا المناخ المعادي لليهود ومثلها مثل الحزب القومي الديموقراطي والحكومة تحدثت عن اليهود بوصفهم عناصر من "المغتربين" المثيرين للمشاكل اقتصاديا والأدنى أخلاقيا. في هذا كانت الكنيسة ببساطة تكرر الأفكار المقولبة التقليدية حول اليهود. على الجانب الآخر، لم يكن سلوك الحكومة خاليا من التناقضات. على سبيل المثال، كانت الحكومة لاتزال تتعاون مع الجماعة الأرثوذوكسية أجوداس يسرائيل. تمتعت هذه الجماعة بتأييد الحكومة، وخشية من قيام اليساريين باستيلاء ثوري على السلطة لم تتورع عن التلاعب بنتائج الانتخابات في الجماعات اليهودية. علاوة على ذلك، أقامت الحكومة أيضا صلات مع الجماعات الصهيونية. رغم أن الحكومة كانت لا تزال تدين الهجمات على اليهود والقيام بأعمال العنف ضدهم، فقد فكرت بشكل فعال في كيفية دعم عملية هجرة اليهود. حتى في وزارة الخارجية كانت توضع الخطط لإعادة توطين اليهود لا فقط في فلسطين ولكن في مدغشقر أيضا- وهي الخطة التي فكر فيها النازيون أيضا لفترة. تركت بعض الجماعات السياسية أنفسها تنجرف في سلسلة من الأفكار مماثلة لتلك التي جاءت "بقوانين العرق" بمدينة نورنبرج إلى حيز الوجود عام ١٩٣٥. لكن على العكس من الوضع في ألمانيا، لم يتبع ظهور هذه الأفكار في بولندا اتخاذ إجراءات ملموسة أو سن قوانين تمييزية.

كما حاولت الحكومة البولندية أيضاً منع اليهود البولنديين الذين استقروا خارج البلاد- في ألمانيا مثلاً- من العودة للبلاد. من وجهة نظرها كان يجب ألا يسمح بزيادة أعداد اليهود في بولندا. في الوقت ذاته أوجد هذا توازناً مع تصرفات الحكومة الألمانية التي تدخلت استجابة للتمييز ضد المواطنين الألمان في بولندا. أصبح اليهود في ذلك الحين هدفاً سياسياً دولياً. أدى هذا إلى نشوب صراعات مع النظام الاشتراكي القومي الحاكم الذي أراد طرد يهود شرق أوروبا. كان يجب إزاحتهم عن الطريق بصفة أساسية بسبب وضعهم كأجانب من خلال فرض المقاطعات وما شابهها من إجراءات.

في عام ١٩٣٨ وصلت هذه السياسة إلى أولى ذراها. في يناير قامت الحكومة الألمانية بطرد جميع اليهود السوفييت رداً على طرد ١٥٠ مواطناً ألمانياً من الاتحاد السوفييتي. غير أن الحكومة السوفييتية رفضت استعادة مواطنيها اليهود. نتيجة لذلك اختفى هؤلاء المواطنون ببساطة في معتقلات التعذيب النازية. في خريف عام ١٩٣٨، بعد قيام الوحدة قامت الحكومة البولندية بسحب المواطنة البولندية من ٢٠.٠٠٠ يهودي بولندي يعيشون في النمسا لمنعهم من العودة للبلاد. لعبت الأصول المملوكة لهؤلاء اليهود دوراً محورياً في صدور هذا القرار. حينئذ غيرت الحكومة الألمانية القانون ليكون من الأيسر طرد المواطنين البولنديين. سريعاً ما وصلت العلاقات بين البلدين إلى أسوأ ما يمكن. في أكتوبر "في بهيم الليل" قام النازيون بنقل ما بين ١٧.٠٠٠ و٢٠.٠٠٠ يهودي بولندي إلى الحدود لترحيلهم إلى بلدهم الأصلي. كان هذا نموذجاً وتمريناً على سلسلة لاحقة من الترحيلات. حظرت الحكومة البولندية دخول اليهود إلى البلاد وبعد أن تمكنت أعداد قليلة من دخول البلاد قامت الحكومة بإغلاق الحدود. وكرد على ما فعله النازيون قامت الحكومة البولندية بطرد اليهود الألمان. غاضباً من ترحيل أبويه عن البلاد الذين عاشوا

في هانوفر وتم التحفظ عليهم في ظروف غير إنسانية على الحدود، قام طالب يهودي بولندي يدعى هيرشيل جرينسبان بإطلاق الرصاص على الدبلوماسي الألماني إرنست فوم راث في باريس. اتخذ حادث الاغتيال هذا ذريعة للمذبحة المعروفة باسم " ليلة الزجاج المهشم" التي بدأت في التاسع من نوفمبر ١٩٣٨ واستمرت على مدار الأيام التالية. استأنفت المفاوضات بين الحكومتين البولندية والألمانية وفي عام ١٩٣٩ قبلت بولندا مواطنيها اليهود الذين تم إبعادهم من ألمانيا.

بعد هذا بوقت قصيرحين تقدمت القوات الألمانية مجتاحة بولندا في الأول من سبتمبر ١٩٣٩، وقف اليهود جنبا إلى جنب مع بقية السكان البولنديين للدفاع عن البلاد. كتب المؤرخ اليهودي إيمانويل رينجلبلوم في وصف هذا قائلاً: "لقد سيطر على يهود وارسو حماسة استدعت إلى الأذهان بقوة أحداث عام ١٨٦١، عهد "الصداقة الأبدية". إلى جانب التبرعات الكثيرة التي ساعدت على بناء دفاع مدني وساعدت على معالجة الجرحى شارك اليهود في عمليات إقامة الحصون حتى في أيام السبت. يتذكر برنارد مارك، مؤرخ يهودي آخر، مجموعة من الأفراد في وارسو: "في الصف الأول كان هناك خمسة حاخامات معروفين يرتدون قفطان طويل من الحرير الثقيل وقبعات من فرو السمور... تبعهم شباب من المجمع الحاخامي بمجارف على مناكبهم."[١٠٧]

لم تكن الحرب في حقيقة الأمر مفاجأة لأي شخص- فباكراً في شهر يوليو تم حفر الخنادق ونصبت الثكنات في شوارع وارسو.

---

[١٠٧] كلا الاستشهادين في ماريان فوكس، وسيجموند هوفمان، وموريسي هورن وجيرسي توماس تسيفيسكي، اليهود البولنديون. تاريخ وثقافة (وارسو، غير مؤرخ [حوالي ١٩٨٣])، ص. ٤٤.٤

حتى الحاخامات أخذوا المجاريف وحفروا الخنادق. الآن حين كان هتلر على وشك التقدم داخل بولندا، نسي البولنديون أحقادهم ضد اليهود وأصبحنا- فليساعدنا الله!- أمة *واحدة*.[١٠٨]

بعد إحراز فيرماخت الألماني للنصر، فر الكثير من اليهود إلى جانب الكثير من المواطنين البولنديين من غير اليهود إلى الاتحاد السوفييتي. هناك انتظروا مصيرا غير معلوم. إن كان القليل منهم قد نجح في الارتحال إلى فلسطين فإن الكثير ممن بقوا في الاتحاد السوفييتي وقعوا ضحايا للإرهاب الستاليني والإبعاد والعمل في ظروف رهيبة.

وضع خطير في دول شرق أوروبا

كانت "المسألة اليهودية" على علاقة مباشرة بالتصنيع والرأسمالية والتحرر والقومية. لقد أدت الصراعات الاجتماعية والقومية إلى استفحال بعضها البعض وكانوا بدورهم يندلعون بسبب الصراعات الدينية. لقد تم تعميم العداوة تجاه الطبقة العليا اليهودية التي شعرت بها الطبقات الصاعدة في خضم الصراع التنافسي القاسي مع زعماء الرأسماليين ليشمل جميع اليهود إلى جانب التمييز فيما يتعلق "بغرابة" يهود شرق أوروبا. لقد راجت الفكرة المقولبة عن اليهود الماكرين والمؤذين والمفسدين – الذين إلى جانب هذا انضموا إلى أعداء الأمة. في الاضطرابات التي حدثت بعد الحرب العالمية الأولى وأثناء إنشاء الدول التي ستخلف إمبراطورية أسرة هابسبرج والإمبراطورية الروسية والألمانية، ظهر هذا الصراع إلى العلن في كل مكان تقريبا وانفجر في عنف. نحى الناس باللائمة على اليهود في الهزائم وجميع المشكلات التي جابهتهم. حاولت الجماعات الشعبية كسب أتباع من خلال إثارة القلاقل المعادية للسامية.

---

[١٠٨] أيزاك باشيفيس سينجر، حب قديم، قصص حب (ميونيخ- فيينا، ١٩٨٥)، ص. ٢٢٦ ("المخطوطة").

في هذا السياق، كانت هناك اضطرابات معادية لليهود في المجر وتشيكوسلوفاكيا. أثار "اليهود التشيكيون" العداء ضدهم أثناء الحرب. بسبب تجربة اليهود في روسيا، لم يستطع اليهود التشيك أن يحملوا أنفسهم على اعتبار الروس محررين ومن ثم اصطدموا بتعاطف الجماهير مع السلافيين. بيد أن أول رئيس للجمهورية الجديدة، مزاريك، نجح في نزع فتيل الموقف المتفجر إلى حد ما مستخدما كل قوة شخصيته لحل هذا الموقف. تم التوصل إلى هدنة محتملة بين اليهود والتشيك التي لم يلق عليها بظلال الشك سوى الأقلية الألمانية كما جرت العادة الذين كانوا قلقين بشأن وضعهم. من المؤكد أن تضمن الدستور التشيكوسلوفاكي لبند يمكن من التصريح بالقومية اليهودية أسهم في خلق وضع متفائل. في إحصاءات عام ١٩٢١ و١٩٣٠ شكل اليهود الذين استغلوا هذا الحكم في الدستور أكثر من ١% من سكان الجمهورية أما الذين أعلنوا أنهم يهود على أسس دينية فشكلوا حوالي ٢.٥% (٣٥٠.٠٠٠ نسمة). ولدت النجاحات الاقتصادية والاجتماعية-السياسية الأولية مناخا مواتيا وأدت إلى تقوية النزعات الاندماج التشيكية-اليهودية. قوبل الحزب اليهودي بالرفض من جانب كل من اليهود المندمجين والأرثوذوكس لأنه أكد على مفهوم القومية وانخرط في الشئون السياسية محققا بذلك نتائج هامة. بينما اجتمعت كل هذه التيارات مع بعضها البعض، أصبحت براغ مرة أخرى مركزا ثقافيا وفكريا يهوديا. غير أن الوضع كان محفوفا بالخطر على الدوام. أصبحت سلوفاكيا منطقة سيادية تحت حكم القس الكاثوليكي جوزيف تيسو (١٨٨٧- ١٩٤٧) في عام ١٩٣٨ وأصبحت لعبة في ايدي الرايخ الثالث. لم يحدث فقط زيادة في سن القوانين المعادية للسامية بل حدث ترحيل لليهود عن البلاد وتآمر حرس هلينكا السلوفاك على قتل اليهود.

في المجر منذ بدايات عشرينيات القرن العشرين بدأت مرحلة من الاتحاد بعد أعمال العنف والهجمات الدامية في أعقاب الثورة والثورة المضادة. كان قانون التحديد الرقمي الصادر عام ١٩٢٠ الذي يقيد التحاق اليهود بالجامعة أحد نتائج الاضطهاد، بيد أنه ظل لوقت طويل المظهر الوحيد من مظاهر التمييز الرسمي. بسبب خسارة المجر لبعض أراضيها نتيجة أثناء الحرب العالمية الأولى، انخفض عدد اليهود من حوالي مليون نسمة عام ١٩١٠ إلى ما يزيد على ٤٧٠.٠٠٠ بقليل في ١٩٢٠ وهو ما يوازي ٦% من إجمالي عدد السكان. بحلول عام ١٩٣٠، انخفضت هذه النسبة لتصل إلى ٥% نتيجة لتنصر بعض اليهود وبشكل رئيس بسبب انخفاض معدلات المواليد بين اليهود. عاش حوالي نصف اليهود المجريين في بودابست. كما تركز اليهود الإصلاحيون هناك أيضا مشكلين حوالي ٦٥% من إجمالي السكان عام ١٩٣٠. عانى اليهود الأرثوذوكس- بصفة رئيسية يهود أوروبا الشرقية- من مرحلة تدهور مقارنة بفترة ما قبل الحرب، لأن الكثير منهم استقروا في مناطق كانت تنتمي في ذاك الوقت إما إلى تشيكوسلوفاكيا أو رومانيا. كانوا يشكلون في ذاك الوقت حوالي ٣٠% من السكان اليهود. أما الخمسة بالمائة المتبقية فكانت ما يطلق عليه جماعات "الوضع الراهن" التي وقفت في منتصف المسافة بين النقيضين. لقد تسببت الأفعال المناهضة لليهود في الفترة الأولى للدولة الهنغارية الجديدة في تفكير الكثير من اليهود- بغض النظر عن اختلاف آرائهم الدينية أو السياسية - مليا في طبيعة اليهودية. مما لا يدع مجالا للشك مكنهم هذا من الاعتراف الاجتماعي بهم. في الثلاثينيات من القرن العشرين، بدأت معاداة السامية تنمو مرة أخرى وسنت التشريعات بشكل متزايد- في ظل التأثير الألماني. في البداية قاومت الحكومة تسليم اليهود الهنغاريين للنازيين. بيد أنه في عام ١٩٤٤ تحت وطأة الضغوط الألمانية

وبمساعدة المنظمة الفاشيستية أروكروس "الصليب السهمي" تم إدراج اليهود في "الحل النهائي". غير أنه تم إنقاذ بعض اليهود بطرق مختلفة.

في رومانيا تعرض الكثير من اليهود للاضطهاد أثناء الحرب العالمية الأولى بزعم أنهم حلفاء أو حتى جواسيس لمملكة هابسبرج. بالاستيلاء على بيسارابيا من روسيا، وبوكوفينيا من النمسا وترانسيلفانيا من هنغاريا بنهاية الحرب العالمية الأولى، ازداد عدد السكان اليهود الرومانيين إلى حوالي ٨٠٠.٠٠٠ يهودي أو ٤.٥% من إجمالي عدد السكان في عام ١٩٢٠. بنهاية العشرينيات من القرن العشرين وصل العدد إلى حوالي مليون يهودي وبذلك يكون أكبر عدد لليهود في أوروبا الشرقية بعد بولندا (ثلاثة ملايين يهودي) وروسيا (تقريبا ثلاثة ملايين). طالب اليهود بالحصول على المساواة في الحقوق بموجب القانون وهو الأمر الذي كانوا يتمتعون به في بوكوفينيا على سبيل المثال. تحت وطأة الضغط من قبل الحلف، وافقت الحكومة الرومانية في النهاية على التطبيع الكامل مع اليهود. تم إدخال حقوق مساوية لليهود في دستور عام ١٩٢٣. بيد أنه بعد عام واحد فقط من ذلك، تم فرض القيود فيما يتصل بهذه الحقوق التي كان اليهود قد حصلوا عليها مؤخرا. لم يعترض سوى الاشتراكيين غير أنهم كانوا في غاية الضعف. وجدت الخطب الحماسية المعادية للسامية التي تلمح إلى أن اليهود خطفوا أفضل الوظائف من الرومانيين صدى كبير. وجدت هذه الأفكار آذانا مصغية بين الدوائر الأكاديمية بين الطلاب والأساتذة الجامعيين. في الوقت ذاته خيم شبح اندلاع ثورة اجتماعية – بزعامة "البلاشفة اليهود".

من بين الطلبة تجمع الأعضاء الأوائل في "فيلق كبير الملائكة ميكائيل". تأسست هذه المنظمة عام ١٩٢٧ وانبثق عنها عام ١٩٣٠ الحرس الحديديون [الاسم الذي يشيع استخدامه بين غير

الأعضاء]. لم يتورع الحرس الحديديون عن قتل القضاة و- في عامي ١٩٣٣ و١٩٣٨- لم يتورعوا عن اغتيال الرؤساء الذين اتخذوا إجراءات مناهضة للمنظمة. بسبب الأزمة الاقتصادية التي حدثت في نهاية العشرينيات من القرن العشرين، اكتسبت هذه المنظمة جماهيرية كبيرة. في ذاك الوقت كانت المنظمة تتلقى دعما ماليا من جماعات ألمانية. قام الحزب الاشتراكي القومي الحاكم برفع معونته للحرس الحديديون وللأحزاب الأخرى المعادية للسامية حتى بعد وقوع الاغتيال عام ١٩٣٨ حين فقد الحرس الحديديون التأييد. تولى الجنرال أنتونيسكو (١٨٨٢- ١٩٤٦) مقاليد السلطة بعد توقيع ميثاق هتلر وستالين الذي عقد عام ١٩٤٠ وانطوى على إجحاف لرومانيا. لفترة وجيزة ضمت حكومة أنتونيسكو أيضا أعضاء من منظمة الحرس الحديديون. حاول الحرس الحديديون القيام بعصيان مسلح ضد أنتونيسكو في يناير عام ١٩٤١ أملين في الإمساك بزمام السلطة. أعقب هذا مباشرة هجوما عنيفا على اليهود أسفر عن مقتل ٦٠٠ يهودي في بوخارست وحدها. في نهاية يونيو ١٩٤١، مباشرة بعد اندلاع الحرب ضد الاتحاد السوفييتي، قام الرومانيون والألمان بأعمال عنف ضد يهودي إياسي متهمين إياهم بالتواطؤ مع الروس. سقط على الأقل ١٢.٠٠٠ ضحية لأعمال العنف هذه. استمر إعمال القتل في اليهود فيما بعد في المناطق التي تم غزوها في بيسارابيا وبوكوفينيا وأوكرانيا. بيد أنه في السنوات التي تلت ذلك كان من الممكن – بسبب التمثيل الشجاع لكبير الحاخامات برومانيا ألكسندر سافران أمام المطران الأرثوذوكسي والسفير البابوي في رومانيا- إنقاذ الكثير من اليهود منهم الكثير من اللاجئين من بولندا والمجر من التعرض للإبعاد.

في بلغاريا عام ١٩٤٣ بينما ارتفع عدد اليهود في الوقت نفسه إلى حوالي ٥٠.٠٠٠ نسمة، فإن احتجاجات الكثير من المواطنين –

إلى حد القيام بمظاهرة عامة- حالت دون نقل ٨٠٠٠ يهودي إلى معتقلات الإبادة رغم تقديم الحكومة وعودا للنازيين بذلك.

في يوغوسلافيا قبل الحرب العالمية الثانية، كان للآراء المعادية للسامية أثر طفيف نسبيا على الشئون السياسية. في عام ١٩٣٠ عاش حوالي ٧٠٠٠٠ يهودي هناك أغلبهم في كرواتيا حيث هاجروا إلى هناك من المجر بصفة رئيسية. بيد أن حركة أوستاسا الكرواتية أدانتهم باعتبارهم أعداء القومية الكرواتية ورعاة للدولة اليوغوسلافية الموحدة التي يحكمها الصرب. تحت حكم الحكومات المعتمدة على الاشتراكيين القوميين وحلفائهم، وقع اليهود هنا أيضا ضحايا "للحل النهائي". من جهة أخرى، رفضت ألبانيا التي احتلتها إيطالياً في البداية ثم وقعت تحت الاحتلال الألماني تسليم مواطنيها من اليهود.

بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧، انسحبت دول البلطيق من الإمبراطورية الروسية. لعبت قضية الأقليات القومية التي تعرضت للقلاقل السياسية والاقتصادية دورا هاما في تلك الدول. في ليتوانيا كان حوالي ٨% من إجمالي السكان من اليهود. مثل اليهود في لاتفيا حوالي ٦% من إجمالي السكان وفي إستونيا اقل من ١%. وضعت دساتير هذه البلاد رؤى لحقوق موسعة للأقليات تنطوي على استقلالية ثقافية ومنحهم فرص للتمثيل النيابي . في ليتوانيا فيما يتصل بالحقوق التاريخية للإدارة الذاتية، كان يوجد مجلس قومي لليهود ووزير يضطلع بمسئولية محددة للشئون اليهودية. حين وصل الوضع الداخلي إلى الذروة، زادت الاضطرابات الوطنية وبعد التحول إلى نظام الحكم الفاشي بنهاية عام ١٩٢٦، فقد اليهود حقهم في التمثيل السياسي. كما اتبعت لاتفيا أيضا هذا النسق. فقط في إستونيا استطاع اليهود الاستمرار في العمل سويا مع وجود مجلس ثقافي للأقليات رغم وجود

نظام حكم فاشي. بعد غزو الجيش الألماني لهذه المنطقة في الحرب العالمية الثانية، خضع اليهود لسياسة إبادة منهجية.

محاولة إبادة اليهود

لم يكن واضحا منذ البداية معنى "إبادة" اليهود. باكراً في عام ١٩١٩ تحدث هتلر عن "إزالة اليهود من بين شعبنا" وفي كتابه "كفاحي" عام ١٩٢٤ تحدث عن "القتل بالغاز" وأيضا عن التخلص من "الطفيليات" و"الديدان". كما تحدث الأيديولوجي الرئيسي للحزب روزينبيرج مستخدما نفس الألفاظ: كان يرى اليهود مصاصي دماء ومفسدين للجنس الألماني ومتآمرين سياسيين وبلاشفة بطبيعة الحال و يجب بالتالي إبادتهم.[١٠٩]

بعد تولي النازيين للسلطة، في البداية تم حرمان اليهود في ألمانيا من حقوقهم الواحد تلو الآخر. من بين أهم الإجراءات التي اتخذت ضدهم مقاطعة الأول من أبريل ١٩٣٣، قانون السابع من أبريل ١٩٣٣ الذي أدى إلى فصل العمالة اليهودية من الحكومات المحلية والمحاكم والجامعات إلى جانب "قوانين نورمبرج العرقية" التي سنت في

---

[١٠٩] ورد على لسان بيرند مارتن، اضطهاد اليهود وإبادتهم في عهد الدكتاتورية الاشتراكية القومية، في كتاب اليهود كأقلية في التاريخ، تحرير برند مارتن وإرنست شولين (ميونيخ، ١٩٨١)، ص. ٢٩٠-٣١٥، هنا ص. ٢٩٥- ٢٩٨؛ فولفجانج شيفلر، الطريق إلى الحل النهائي، معاداة السامية من كراهية اليهود حتى الهولوكوست، تحرير هربرت أ. شتراوس ونوربرت كامبي (بون، ١٩٨٥)، ص. ١٨٦-٢١٤، هنا ص. ١٩١. ينبغي أن توضح هذه نوع الأفكار التي أثرت على مسار فكر لقادة النازية ودعاية النازي. لا أقصد أن ألمح إلى أنه كان هناك خط مباشر من الاستمرارية منذ المظاهر الأولى وحتى العمليات الأخيرة لقتل اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية.

١٥ سبتمبر ١٩٣٥ والقانون الذي يخرج اليهود من الاقتصاد الألماني في ١٢ نوفمبر ١٩٣٨ بعد "ليلة الزجاج المهشم". كانت الإجراءات الجذرية ضد اليهود، خاصة إجراءات عامي ١٩٣٣ ومرة أخرى عام ١٩٣٨، بصفة عامة مدبرة لإيجاد مخرج للمتنمرين المعادين للسامية ومن جهة أخرى لإعداد قيود تشريعية ووصفهم "كتعبير عن المشاعر الشعبية" وبالتالي إضفاء صبغة شرعية على هذه الأعمال. قوبلت القواعد والقوانين التمييزية بالترحاب الشديد من قبل المعادين التقليديين للسامية في البيروقراطية وأيضا من جانب المشتغلين بالدوائر التجارية الذين استولوا بحماسة على الشركات اليهودية. في عام ١٩٨٨، تمكن عدد ضخم من الشركات من الاحتفال بمرور خمسين عاما على إنشائها- إحدى نتائج "التوجه إلى الجنس الآري" بالاقتصاد الألماني عام ١٩٣٨.

في عام ١٩٣٧ رأى جوزيف روث الأمور بوضوح إذ قال:

يمكن لليهود الحصول على المساواة التامة في الحقوق والقيمة التي تمنحها الحرية الخارجية فقط حين يحصل الشعب المضيف على الحرية الداخلية والقيمة التي يمنحها إياهم إدراك معنى المعاناة. وبالكاد لا يمكن تصديق أن الشعب المضيف سيحصل - دون معجزة من السماء- على مثل هذه الحرية والقيمة. بالنسبة لليهود المتدينين، يبقى لهم عزاء السماء أما بالنسبة للبقية "فويل للمنهزمين".[١١٠]

سعت فرقة الحماية المعروفة باسم (SS) - التي كانت منذ بداية عام ١٩٣٩ بناء على أوامر جورينج مسئولة عن السياسات تجاه اليهود- إلى حل المشاكل من خلال الفصل "العنصري" الواضح

---

[١١٠] جوزيف روث، يهود التيه، مقدمة للطبعة الجديدة، ص. ٣٦٨-٣٦٩.

أي من خلال طرد اليهود. بداية اختار عدد قليل من اليهود الهجرة خارج البلاد. لكن أغلب اليهود أرادوا البقاء في ألمانيا لأنهم لم يتمكنوا حتى من البدء في تصور ما تخبئه لهم الأقدار واعتقدوا أنه رغم حرمانهم من حقوقهم فبوسعهم العيش داخل إطار ثقافتهم الخاصة. في ذاك الوقت كان هناك دعم واعٍ للثقافة اليهودية. فقد شهد المسرح والتعليم والدين اليهودي ازدياداً كبيراً في شعبيتهم لأن النازيون عمدوا إلى الإمعان في فصل اليهود عن بقية الشعب بهذه الطريقة. بينما ازدادت وطأة التمييز ضد اليهود، هاجر اليهود خاصة الميسورين منهم عن البلاد. قرابة نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين، سلك في المتوسط حوالي ٢٣.٠٠٠ يهودي هذا النهج سنوياً. في بولندا في نفس هذا الوقت بلغ عدد المهاجرين سنوياً ١٠٠.٠٠٠. على الجانب الآخر، لم تجعل نتائج المؤتمرات الدولية للاجئين أو رفض البلدان الغربية دعم الهجرة اليهودية من قرار الهجرة قراراً سهلاً.

بعد أن خسر اليهود جميع حقوقهم وتقريباً جميع ممتلكاتهم- لم يعد حوالي ٧٠% من اليهود المستخدمين قادرين على العمل لكسب رزقهم- قررت فرقة الحماية (SS) أن الوقت أصبح مناسباً لإبعادهم. كان ثلث اليهود الألمان قد هاجروا بالفعل. حتى أكتوبر ١٩٤١، قامت فرقة الحماية- ضد رغبة الحزب ووزارة الخارجية- بإجراء ترتيبات لهجرة الثلث الثاني من اليهود. كان أدولف أيشمان- الذي كان يتزعم حينذاك القطاع اليهودي لمكتب الرايخ الرئيسي للأمن (RSHA)- على اتصال بالمنظمات اليهودية منذ عام ١٩٣٥ لهذا السبب. بقي الثلث الأخير من السكان اليهود – حوالي ١٦٠.٠٠٠ نسمة- في ألمانيا.

بهزيمة بولندا عام ١٩٣٩، ازدادت صعوبة انتهاج سياسة ممارسة الضغوط على اليهود لدفعهم للهجرة. لم يكن من الممكن إرسال

حوالي الثلاثة مليون يهودي الموجودين في بولندا خارج البلاد بغض النظر عن أي أسباب أخرى لأنه ببساطة لم يقبل أي مكان آخر أن يرحلوا إليه. منذ البداية تعاملت فرقة الحماية والوحدات الخاصة المنشئة لهذا الغرض مع هؤلاء اليهود بلا هوادة. إلى حد ما كانت هذه الفترة تدريبا على إبادة اليهود التي تمت في وقت لاحق. ظهرت خطة لتوطين جميع اليهود الموجودين في "محمية" جنوب مدينة لوبلين. في بداية عام ١٩٤٠ بدأت عملية الترحيل الأولى لليهود. غير أن أقساماً من الحزب أحبطت هذه الخطة لأنهم لم يريدوا لأي يهودي أن يتواجد في "الفضاء المعيشي" الألماني.

نتيجة لذلك، تم إحياء مشروع قديم: إنشاء دولة يهودية في مدغشقر إن أمكن تحت مظلة حكم ألماني. انحاز هيملر لهذه الخطة لأنه في البداية اعتبر عمليات القتل الجماعي لليهود عمليات "غير ألمانية". كان هتلر يحاول استكشاف آراء موسوليني بهذا الصدد. كان من المزمع أن يكون يهود بادن ومنطقة زار بفالتس "في الطليعة". بنهاية أكتوبر ١٩٤٠، تم ترحيلهم إلى جورس ومعسكرات أخرى بفرنسا لانتظار ترحيلهم إلى أفريقيا. غير أن مسار الحرب أحبط هذه الخطط: لم يكن السلام خيارا بريطانيا ومع غزو الاتحاد السوفييتي في ٢٢ يونيه عام ١٩٤١ تم نقل اليهود إلى هناك ليتم قتلهم على يد ما يطلق عليه إسم القوات الخاصة ووحدات فرقة الحماية واشتركت في هذا أيضا وحدات من قوات الدفاع الألمانية في عصر النازي. غالبا ما شاركت في عمليات القتل هذه القوات المحلية. لم تعد فكرة ترحيل اليهود المتبقين إلى مناطق غير مأهولة في الاتحاد السوفييتي عند غزوه قابلة للتنفيذ. من ثم بدأ القرار يتشكل منذ صيف ١٩٤١ بالقيام بإبادة شاملة منهجية لليهود؛ القرار الذي رفعه هتلر في ديسمبر ١٩٤١– في نفس توقيت إعلان الحرب على الولايات

المتحدة- إلى مرتبة المبدأ العام. ناقش "مؤتمر فانيسا" المنعقد [١١١] يناير ١٩٤٢ تنظيم عملية الإبادة التي كانت تتم الآن بشكل منهجي في جميع الأراضي التي امتد إليها نفوذ النازي. بدأت غرف الغاز في أوسشفيتز عملها في ربيع عام ١٩٤٢ وتبعها الكثير من معسكرات الإبادة الأخرى. سقط حوالي ٦ مليون يهودي ضحية "للحل النهائي".

لا يمكن وصف حياة اليهود في الشرق تحت نير الاستعمار الألماني- في مناطق الجيتو والمعسكرات. كان عليهم تشكيل "مجالس يهودية" لتنظيم الإدارة- بما فيها ترتيبات نقل اليهود إلى غرف الغاز. حاولت الكثير من المجالس اليهودية إنقاذ حياة من يعيشون في الجيتو بإقناع النازيين بأن المهارات التي يتمتع بها بعض هؤلاء اليهود ضرورية للغاية أو كانوا يضحون بالبعض أملاً في نجاة الباقين. ربما كان رئيس المجلس اليهودي في مدينة لودز موردخاي تشاييم رومكوفيسكي أوضح الأمثلة على هذا. رغم إجراء عدد من عمليات الترحيل استمر الجيتو موجودا حتى عام ١٩٤٤. حينها تمت "تصفيته" أيضا. سار رومكوفيسكي ليلقى حتفه مع الآخرين. اختار رئيس المجلس اليهودي بوارسو- آدم تشيرنياكوف (١٨٨٠-١٩٤٢) الانتحار حين أجبر على ترتيب عمليات ترحيل أطفال من اليهود. لم تكن هذه الحالة الوحيدة ، فقد رفض آخرون تنفيذ أوامر الألمان مفضلين أن يلقوا حتفهم رميا بالرصاص. يمكن العثور على سجلات المجلس اليهودي في وارسو من عام ١٩٤٠ حتى عام ١٩٤٢ في الأرشيف القومي بمدينة وارسو. إلى جانب البيانات المتنوعة

---

[١١١] وردت في ليس هناك طريق للعودة ... قصص و للجيتو من فيلنا، تحرير فلوريان فروينـد وآخرون (فيينا، ١٩٩٢)، ص. ٥٣. الشبه ينطبق على إيشعياء إصحاح ٥٣: ٧.

حول ظروف السكن والغذاء والتعليم، توجد أيضاً وثائق تخص "كتائب العمل" والظروف الرهيبة في معسكرات العمل. في بداية عام ١٩٤٢ كان لايزال هناك ٤٠٠.٠٠٠ يهودي في جيتو وارسو. تم تعيين حوالي ٧٤% من القادرين على العمل بينهم في الحرف اليدوية و٢٤% تم تشغيلهم بالتجارة و٥% بالصناعة و٢٤% في وظائف أخرى. سريعاً ما أدت الجوع إلى رفع معدلات الوفيات بين اليهود بدءاً من عام ١٩٤١. تنتهي السجلات بتوجيه اتهامات عقوبتها الإعدام بغرف الغاز في المناطق السكنية لليهود.

حاول بعض اليهود انتهاج المقاومة المسلحة. حدثت ثورات في مناطق مختلفة من الجيتو على سبيل المثال في وارسو في أبريل-مايو ١٩٤٣ وفي لفيف (لمبرج) في يونيه من عام ١٩٤٣ وفي بياليستوك في أغسطس وفي فيلينوس في سبتمبر ١٩٤٣. تم قمع جميع هذه الثورات بوحشية ولم ينج سوى عدد قليل من اليهود المشاركين في هذه الثورات. كان من ضمن الناجين ماريك إيدلمان الذي عمل فيما بعد طبيباً في لودز. كان أحد المؤسسين لنقابة التجاريين الحرة. من المدهش أنه كان على الدوام رافضاً لتمجيد مناضلي الجيتو. منذ ١٩٤٥، غالباً ما كانت تثار تساؤلات حول سبب عدم استجابة اليهود للدعوة إلى التسلح التي أطلقها من فيلينوس أبا كوفنر (١٩١٨-١٩٨٧) في نهاية عام ١٩٤١ بدلاً من "الذهاب كالحملان إلى الذبح"٧ غالباً ما يغطي هذا التساؤل على وخز الضمير حيث أنه كان من الممكن القيام بأكثر من هذا لمساعدة هؤلاء المضطهدين. حتى الصهيونيين سعوا في خضم نضالهم لإنشاء دولة إسرائيل وفي نظرتهم للتاريخ محاكاة الذين شاركوا في الثورات. على الجانب الآخر أعلن ماريك إيدلمان:

يجب ألا يقل احترام الموت في غرف الغاز عن الموت على أرض المعركة إذ يكون الموت غير جدير بالتقدير فقط حين يحاول المرء

إنقاذ حياته على حساب الآخرين. ... إنه لشيء مرعب حين يتوجه المرء لقضاء نحبه بهذه الطريقة. ربما كانت هذه الميتة أصعب من الموت رميا بالرصاص فالموت بهذه الطريقة أيسر بكثير.[١١٢]

طالما ذاع وصف اليهود – خاصة يهود شرق أوروبا- كأذلاء جبناء. غير أن تاريخهم يبين أنهم تحت ظروف معينة يمكنهم على وجه اليقين النضال والمقاومة. لكن العمل المسلح لم يكن يعتبر عملاً جيدا. كقاعدة عامة، استجاب الناس للعنف بالتذرع بالصبر. من وراء هذا كان هناك الإيمان بمشيئة الرب والخلاص المنتظر ومجموعة مختلفة من القيم تتسم بمثل أعلى من تلك التي تتسم بها قيم المحاربين- منها التعلم على سبيل المثال- والتبصر في لا جدوى العنف. العنف لا يولد سوى العنف. أثرت هذه الاعتبارات أيضا على كيفية تصرف اليهود في عهد النازيين خاصة وأن نطاق الإبادة الوشيكة كان في البداية مهولاً بدرجة لا يمكن تصورها بحيث لم يكن من الممكن تنظيم أية حركات مقاومة. كانت هناك أيضا محاولات في الجيتو وفي معسكرات الإبادة للحصول على ميزات صغيرة أو كبيرة وحتى لإنقاذ حياة المرء ولو على حساب الآخرين. ترى من ممن لم يكونوا هناك يمكن محاكمته؟ في ذات الوقت، في سلوك الحسيدي الذي ذهب للقاء حتفه داعيا " «اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيل: الرَّبُّ إِلهَنَا رَبٌّ وَاحِدٌ " (سفر تثنية الاشتراع الإصحاح ٦: الفقرة ٤) وفي مسلك الزوجة التي لم ترد لزوجها أن يواجه النهاية وحده والمدرس والمربية اللذان اصطحبا أطفالهما إلى غرفة الغاز وواسوهم وحكاية الرجل الذي فقد صوابه من الخوف وفرط المذلة حتى أنه حفر قبره بيديه رغم

---

[١١٢] هانا كرال، أن تحبط أعمال الرب (فرانكفورت ، ١٩٩٢)، ص. ٤٧- ٤٨.

علمه بما كان ينتظره من مصير. في كل هذه الحكايات نفس القدر من الشرف والكرامة التي يتسم بها الكفاح المباشر ضد القاتل.

هل كان بوسع البولنديين فعل المزيد لمعاونة اليهود؟ ربما كانت هذه القضية موضوع الجدل الدائر في بولندا هذه الأيام مثلما هي موضع الجدل بين اليهود أنفسهم. هناك إجماع على أن المنظمات البولندية لإغاثة اليهود كانت الوحيدة من نوعها في أوروبا بالكامل وأنه كانت هناك الكثير من الأعمال الفردية لمد يد العون لليهود. تقريبا لم تشهد أي بلد آخر هذه النسبة الضخمة من الأفراد الذين مدوا يد المساعدة لليهود وتقف قائمة أسماء المكرمين لهذا السبب في ياد فيشام بأورشليم شاهدا على هذا. بيد أن الكثيرين يرون أن مثل هذه الأفعال كانت هي الاستثناء. لطالما لعبت الميول المعادية للسامية دورا حاسما وظلت العلاقات بين اليهود والبولنديين غير متقاربة. حتى في المخابيء لم تكن هناك صلات كبيرة بين اليهود والبولنديين. بأي الأحوال علينا أن نضع في الاعتبار حقيقة أن الكثير من محاولات انقاذ اليهود ظلت خارج دائرة الضوء أو لم تصب النجاح وأن الكثيرين الذين كانوا على استعداد لمد يد العون لم يترجموا رغبتهم هذه إلى أفعال خوفا من النازيين. فأي شخص يتم القبض عليه بتهمة مساعدة اليهود بأية وسيلة يدفع حياته ثمنا لهذا. تقريبا كانت كل أسرة يهودية يمزقها القلق على أحد أفرادها الموجود بالمعتقلات أو السجن أو السخرة. أحدثت الهجمات المتواصلة وعمليات الإعدام العلنية وإحراق قرى كاملة عن بكرة ابيها الأثر الذي كان يرجوه مرتكبوها.

اليهود في بولندا ما بعد الحرب

معاناة جديدة وأمل جديد

بنهاية الحرب كانت معاناة اليهود في أوروبا الشرقية أبعد ما تكون عن نهايتها. اضطر الكثير من اليهود للبقاء في ألمانيا في ظل ظروف

سيئةٍ بوصفهم "مرحلين" في المعسكرات. لقد سبق لنا ان ذكرنا شيئاً عن مصير اليهود في الاتحاد السوفييتي وغيره من البلاد الواقعة تحت سيطرته. في بولندا كان اليهود في وضع غريب. فبعد وقت قصير من انتهاء الحرب حين كان النظام السياسي القادم موضع نقاش، جرت هناك هجمات أخرى ضد اليهود في كراكو وبارسيزو وكايلس وأماكن أخرى حصدت حياة مئات اليهود. في كايلس وحدها- في الرابع من يوليو من ١٩٤٦- قتل ٤٢ شخص. بصفة عامة، لعبت الشائعاتٍ حول قيام اليهود باستخدام الدماء البشرية في الطقوس الدينية دورا مساعدا. زاد من لهيب الوضع الصراعات بين الشيوعيين وخصومهم. بعضهم - وهنا مرة أخرى يتعين إلقاء بعض المسئولية على عاتق الكنيسة الكاثوليكية- استغلوا التحيزات ضد اليهود في صراعهم ضد الشيوعيين : الكثير من أعضاء الحزب الشيوعي البولندي كانوا من اليهود التحقوا بالحزب على أمل أن الاشتراكية في بولندا ستتمكن في النهاية من خلق المجتمع الذي يمكن لليهود أن يشعروا داخله بأنهم داخل وطنهم. كان بعض اليهود أيضا نشطين في الشرطة السياسية وتورطوا في ارتكاب جرائم : اعتبر سلوكهم هذا حينئذ خاصية مميزة لليهود بصفة عامة. إضافة إلى هذا كانت هناك مشكلة أن الأملاك اليهودية وقعت الآن في أيد أشخاص جدد وعادة ما لم يرغب هؤلاء الأشخاص في ردها لأصحابها الأصليين. هناك الكثير الذي لا يزال مجهولا لنا بشأن أحداث الهجمات ضد اليهود. الخطوات الأولى الآن كانت تتخذ في بولندا لإجراء أبحاث على هذه الأحداث بدافع من التضامن. في ذلك الوقت كانت النتيجة الرئيسية بدء موجة جديدة من الهجرةٍ اليهودية. تبع هذا إبادة الموظفين بالحزب اليهودي على تطبيقا لسياسات ستالين. غير أن هذه الإبادة لم تكن بمثل وحشية تلك التي جرت في تشيكوسلوفاكيا أو المجر. حتى في السنين اللاحقة

استخدمت الفصائل الحزبية المختلفة المعاداة للسامية للتخلص من خصومهم السياسيين. في عام ١٩٦٨ وصل هذا الشكل من الصراع إلى ذروته. في حكم جوموركا المتحجر اندلعت صراعات جديدة على السلطة داخل الحزب. في وضع متفجر أدت مظاهرات طلابية مطالبة بحرية أكبر في المدارس الثانوية إلى حدوث مصادمات مع قوات الشرطة. انتشرت الاضطرابات في البلاد وأشار أحد فصائل الحزب بأصابع الاتهام نحو اليهود. تمت الإحالة إلى الحرب العربية- الإسرائيلية لعام ١٩٦٧ التي تم تصوير الصهيونيين فيها كمعتدين. من يتحدث علانية عن إسرائيل كان يعد مؤيدا لسياساتها. بهذا "المنطق" تم تصوير اليهود في بولندا باعتبارهم مؤيدين لسياسة العدوان. للحفاظ على نفوذه، قام رئيس الحزب جوموركا بتبني هذا الموقف. الأمر الذي أسفر عن ردة فعل حادة معادية لليهود التي طال تأثيرها في البداية أعضاء الحزب الشيوعي ثم إلى آخرين في أجزاء أخرى من المجتمع- خاصة في العلوم والفنون. خسر الكثيرون وظائفهم وتم استجوابهم وحتى اعتقالهم. مصدومين بهذه الموجة غير المتوقعة من المعاداة للسامية، غادر معظم اليهود المتبقين البلاد. ولم يبق سوى حوالي ٥٠٠٠ يهودي. مدفوعة بالنقاشات الصريحة نسبيا بين اليهود والبولنديين في سوليدارنوسك والمطبوعات الكاثوليكية وأيضا في الصحافة الرسمية الحكومية والبيانات العامة وفي عام ١٩٨٨ حتى داخل الحزب الشيوعي، تم إجراء مناقشة تتعلق بأحداث ١٩٦٨ التي أدت إلى إدانة معاداة السامية وسلوك قيادة الحزب في ذلك الوقت دون إلقاء الضوء على خلفية هذه الأحداث بشكل كامل. في المجمل، لبرهة من الوقت اتخذت السياسة الرسمية تجاه اليهود منحى مختلف. بدأ التمييز ضد اليهود يختفي وتلقت المعاهد اليهودية مرة أخرى دعما حكوميا أكبر. بعد سقوط النظام الشيوعي الحاكم في عام ١٩٨٩/ ١٩٩٠، استطاعت الحياة

اليهودية أن تتطور في جو من الحرية التامة حتى حين عادت المعاداة للسامية إلى الظهور مرة أخرى. بيد أنه من بين ٣ ملايين يهودي الذين يعيشون في بولندا قبل الحرب العالمية الثانية لم يتبق سوى ٥٠٠٠ يهودي. ألم يكتب هذا كلمة النهاية ليهود شرق أوروبا ؟

في الواقع اليهود الذين يعيشون في بولندا اليوم معظمهم يعيش في ظل ظروف سيئة. فالكثير منهم يعيشون في وحدة ويعانون من المرض. يبلغ متوسط أعمارهم سبعين عاما. غالبا ما يكونون اقل من النصاب الشرعي (المينيان) الضروري لإقامة الطقوس الدينية.

حين قام اثنان من الشباب البولندي بتتبع آثار آخر اليهود، أخبرتهم امرأة يهودية بما يلي:

"أنا حانقة على ربنا."

فسألتها مندهشا: "لماذا ؟"

طأطأت العجوز رأسها قائلة:

"حسن... على أي حال من المفترض أننا الشعب المختار ولكن ماا جلب ها لنا ؟ الدماء... المزيد من الدماء والكراهية والمذابح البشعة ... لقد فكرت في هذا الأمر وأحيانا أعتقد أنه كان سيكون من الأفضل لنا إن لم يخترنا نحن. كان يجب أن يتركنا وشأننا لنعيش كالآخرين."[١١٣] غير أنه لاتزال هناك مؤشرات تدعو للتفاؤل. لا يال بعض اليهود جهدا للحفاظ على التقاليد القديمة وتوريثها لأبنائهم. في عام ١٩٨٥ أقيم احتفال بار ميتسيفاه (بلوغ سن التكليف الديني) في وارسو لأول مرة منذ ثلاثين عاما حيث تم قبول صبي يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاما كعضو في الجماعة اليهودية. كان هذا مصدرا لزخم هائل. الكثيرون ممن كانوا "يخفون" يهوديتهم في بولندا ما بعد

---

[١١٣] مالجورزاتا نيتزابيتوفيسكا وتوماس توماستسيفيسكي، آخر اليهود في بولندا (شافهاوسين وآخرون، ١٩٨٧)، ص. ٥٥.

الحرب عادوا الآن إلى حظيرة اليهودية. استمر عدد اليهود في التزايد. هناك تقارير حول بعض الشباب الذين لم يربوا في ظل التقاليد اليهودية والذين يعربون بوعي عن ديانتهم اليهودية غالبا تحت ظروف صعبة.

خلفي يقف تاريخ أسرتي والتاريخ الطويل لشعبي. كان الأمر الأهم بالنسبة لنا نحن اليهود كان على الدوام تربية أبنائنا كيهود. لو كان لي أن أدير ظهري لتقاليد اليهود البولنديين الآن – وأنا على علم تام بهذا– سيكون هذا خيانة لكل شيء قام به شعبنا على مر القرون السابقة. كان هذا يعني أن اليهود في بولندا كان عليهم أن يندمجوا منذ وقت طويل وأن الهولوكوست في النهاية كان نوعا من العقاب لهم على حمقهم. عندئذ، سيكون الرعب الذي يثيره التفكير في ملايين الموتى من بيننا النتيجة الاوحيدة للإبادة.[٦٣٤]

بعد سيمون داتنر من المؤرخين الثقات. ولد في كراكو في ١٩٠٢. كمدرس أقام مع أسرته في بيالستوك حيث عاش إبان الحرب العالمية الثانية وأثناء الغزو الألماني للبلاد. في الجيتو انضم داتنر إلى منظمة مقاومة لم تستطع الحؤل دون مقتل معظم اليهود. كانت زوجة داتنر وابنتاه بين القتلى. في المعهد اليهودي للتاريخ في وارسو، مر داتنر بالتطورات المتناقضة والمعادية لليهود في بولندا ما بعد الحرب. في عام ١٩٥٣ ترك المعهد وعمل كعامل بناء. في وقت لاحق استطاع أن يعمل كمؤرخ مرة أخرى. في عام ١٩٦٨ تمت "إحالته على المعاش" غير أنه بعدها بوقت قصير اصبح مديرا

---

[١١٤] في نفس الموضع. ص. ٥٧- ٧٥، هنا ص. ٧٤؛ احتفالات البارميتسفاه، ص. ١٣٧- ١٥٠؛ نموذج للتغير الواعي للتقاليد، ص. ١٠٤.

للمعهد لفترة وجيزة. فيما بعد عملت ابنته من زواجه الثاني بالمعهد كمؤرخة.

يقول داتنر عن سلوك البولنديين أثناء إبادة اليهود في الحرب العالمية الثانية:

"على أن أشدد على أن ٩٠% من هذه الأفعال القاتلة كانت من صنيع الألمان كان هناك عدد كبير من المواقف المتباينة بين السكان البولنديين. كان معظم البولنديين سلبيين فيما يخص مصير اليهود، يمكن تفسير هذا بسبب الرعب السائد وأن البولنديين كانوا أيضا يتعرضون لعمليات قتل جماعي مخططة على أيدي الألمان. أجدٍ أن سلبيتهم مبررة في ظل وضع يتطلب فيه كل فعل قدرا كبيرا من البطولة. ما أدينه هو اللامبالاة التي صادفها المرء من جانبهم.

في النهاية كانت هناك جماعتان نشطتان. الأولى مشكلة من أولئك الذين تخلوا عن، سرقوا وقتلوا اليهود. الثانية كانت مؤلفة من هؤلاء الذين خبأوا اليهود وعاونوهم. كانت المجموعة الثانية أكبر وأكثر تمثيلاً للشعب البولندي والمقاومة البولندية. أما المجموعة الأولى فلاقت نجاحا أكبر."

"ماذا تقصد بهذا؟"

غالبا ما ننسى أنه كي ننقذ يهودي واحد يحتاج المرء إلى معاونة العديد من الأشخاص الآخرين وفترة زمنية طويلة – عادة بضعة سنين. لخيانة يهودي واحد يكفي شخص واحد ولحظة وجيزة. علاوة على ذلك لاقت الكثير من محاولات الإنقاذ إخفاقا مما يعني ان كلاً من اليهودي والبولندي الضالعين في المحاولة كانا يلقيان حتفهما – لذا لم يتم تسجيل هذه المحاولات في الإحصاءات الإيجابية."

"هل بذل البولنديون في رأيك الشخصي قصارى جهدهم؟"

"لم أكن لأقول هذا ولكن لا يراودني ادنى شك فيما يتصل بمسألة إن كان يتعين الحكم على شعب ما من خلال هؤلاء الذين خاطروا بحياتهم من أجل الآخرين أو من خلال عدد الوشاة به.

فيما يتعلق بالمستقبل يعتقد:

يبدو وكأن اليهود البولنديين سينقرضون، غير ان شعبنا ظل يموت لألفي عام ولازال حيا.

الجماعة اليهودية في بولندا صغيرة جداً لكن ربما يكتب لها البقاء. مؤخرا أتى إلينا بعض الشباب الجدد. يبدو أنهم كانوا قد ارتدوا عن نسبهم اليهودي غير انهم عادوا إليه مرة أخرى. منذ ثلاثة أشهر مررت بتجربة سببت لي سعادة بالغة: احتفال بار ميتسفاه. أتمنى أن يبقى شخص ما حين لا نكون هنا... أتطلع إلى المستقبل بكل ثقة. لقد تعرض اليهود البولنديون للإبادة لكن على الجانب الآخر شهد اليهود الأمريكيون زيادة ضخمة في أعدادهم. بلغ عددهم ٦ مليون يهودي وهو ما يوازي عدد هؤلاء الذين تمت إبادتهم في أوروبا. هناك دولة إسرائيل حيث ترعرع بالفعل جيل جديد. رغم أن عددا من فروع اليهودية قطعت والبعض الآخر ذبلت وسقطت، فإن الشعب اليهودي لازال حيا وسيظل حيا."[١١٥]

لم تنجح إبادة اليهود في أوروبا الشرقية رغم الأعداد التي لا حصر لها من الضحايا والمعاناة التي يعجز عنها الوصف وكذلك لم تنجح إبادة اليهود الشرق اوروبيين. سوف تبقى ثقافة هؤلاء اليهود- بالتأكيد بشكل يختلف عما سبق- وسيستمر تأثيرها أيضا في الأماكن التي نشأت بها. ستعمل الذكرى على التأكد من حدوث هذا.

---

[١١٥] في نفس الموضع، ص. ١٥٣- ١٧٢. الاستشهاد، ص. ١٦٣- ١٦٤، ١٧٢، تم تصحيح جزء منها بالرجوع إلى الأصل البولندي الذي ظهر عام ١٩٩٣ (بفضل كلاوس ب. فريدريش)

خاتمة
أهمية الذكرى

تعد الذكرى جزءاً هاماً من إدراك العالم عند اليهود. تنسب الكلمات التالية إلى بعل شيم توف: "الرغبة في النسيان تطيل النفي، إن سر الخلاص يكمن في الذكرى." أن يتذكر المرء الأرض المقدسة والكتاب المقدس إضافة إلى تاريخ الشعب اليهودي قبل وبعد طرده من إسرائيل، أن يتذكر تاريخ ما قبل الخلاص. قد يأتي المشياح في أي وقت. بالمعنى الاستعاري، ينطبق هذا أيضاً على الحياة الدنيوية. من يرفض تاريخ اليهود وثقافتهم يخسر هويته اليهودية، و"يهوديته" ومعها التضامن والقوة التي من خلالها يؤكد نفسه كيهودي في المجتمع. أن يخرج المرء عن التقاليد ويجد طريقه الخاص في سبيل مغاير يتطلب التدبر والحفاظ على الذات في الذكرى.

الذكرى والتذكر والتاريخ أمور تنتمي إلى جوهر اليهود. بهذه السبل يحدد اليهود أنفسهم بصورة مستمرة. لا تقدم لنا فقط فهما للمعرفة التاريخية ولكن أيضاً للقلق الوجودي. إننا الماضي لا يقبع خلفنا بل أمامنا فنحن نختبره من خلال الذكرى. تنبع أهمية الذكرى من تاريخ اليهود ذي الخصائص المميزة. فبعد أن تشتتوا في جميع أرجاء العالم، غالبا ما لم يكن لهم وطن ولم يسمح بأن يكون لهم وطن. من ثم فإن تاريخهم – تاريخهم جميعا كشعب وتاريخ كل فرد على حدة– هو وطن في الذاكرة.

مانيه شبيربير كتب يقول:

حين كانت الشتيتلات اليهودية لازالت موجودة بالنسبة لي كانت ترجع فقط إلى تاريخ بعيد حيث أنها كانت قد لحقها الدمار. ... تنتمي زابولوتيف منذ ذلك الحين فصاعدا لحاضري. لكن له وطن في ذاكرتي.[116]

أنشأت الجماعات اليهودية سجلات بأسماء أعضائها، خاصة اسماء من تعرضوا للاضطهاد او القتل كي لا يضيعوا في غياهب النسيان. لم يستطع أي يهودي تفادي هذا ورغم أنها كانت تجربة حزينة فقد كانت أيضاً تجربة تنطوي على القوة. اليوم تعد القوة التي يمكن أن تمنحنا إياها الذكرى أكثر ضرورة من ذي قبل وربما تنبثق القدرة على معرفة ما ينبغي عمله مباشرة من تذكر الماضي. أن تتذكر يعني أيضا أن تصبح على وعي بالتاريخ وأن تنظر إليه بعين الناقد. لا يمكن وصف التقدير الذي تحظى به التقاليد اليهودية – التي نشأت في الطقوس التي تمتد عمرها لمئات أو حتى آلاف السنين– في الفكر التاريخي اليهودي. في الوقت ذاته، تتم مناقشة الكتابات القديمة باستمرار من جديد كما تتم مناقشة مسار التاريخ. من الأمثلة المميزة في هذا الصدد الحكاية الحسيدية التي سعى فيها الصدوق إلى محاكاة معلمه إلى حد أنه هجره كما ادار المعلم ظهره إلى معلمه فيما مضى.[117] هذا النوع من الذكرى يثير الألم.

---

[116] مانيه شبيزبر، وردت وفقاً لكتابه "شعرك الرمادي يا سليمان. قصص يهودية شرق أوروبية، تحرير أولف ديدريش بالاشتراك مع أوتو م. ليليان وجيرمانيا جودايشا (ميونيخ، ١٩٨٨)، طبعة جديدة، ص. ٥٦.

[117] جيرشوم شوليم، [تيارات رئيسية في الصوفية اليهودية] (فرانكفورت، ١٩٨٠)، ص. ٣٨٢. إيلي ويزل، ارواح مشتعلة (فيينا، ١٩٧٤)، ص. ١٢٤.

إن كلمات بعل شيم توف منقوشة فوق بوابة الخروج بمكان التذكر ياد فاشيم في اورشليم. يميل السياسيون رفيعو المستوى إلى الاستشهاد بهذه الكلمات في المناسبات التي يتم فيها إحياء ذكرى الجرائم التي ارتكبها الألمان في حق اليهود. كما تزين هذه العبارة طابعاً بريدياً صدر عن مكتب البريد الألماني بمناسبة الذكرى الخمسين للمذابح المنظمة في التاسع والعاشر من نوفمبر ١٩٣٨ المعروفة عادة باسم "ليلة الزجاج المهشم". لا تحمل الذكرى أهمية لليهود فقط دون غيرهم، بل لنا جميعاً. فالذكرى تنطوي على الاعتراف بالخسارة التي لا يمكننا سوى الحزن عليها. بيد أنها تؤدي إلى أبعد من هذا. فهي تمكننا من معرفة تاريخنا الذي نجد به هويتنا والكشف عن جذور أنماطنا السلوكية وأساليب التفكير ومشاعرنا بلغة التاريخ. إن التوسع في هذا النوع من التاريخ ومواجهته قد يؤدي إلى بعض الضجة ولكن فقط بهذه الطريقة يمكن للمواقف والسلوكيات أن تتغير.

هؤلاء الذين يتجنبون مثل هذه المواجهة، هؤلاء الذين يرغبون في حماية رأيهم الثابت تجاه العالم من مثل هذا الصخب تتزعزع ثقتهم بالنفس بصورة أيسر من غيرهم. إن رغبتنا في النسيان لا تستطيع أن تمنع التاريخ من اللحاق بنا مرة أخرى. إن الرغبة في النسيان تطيل عدم يقيننا وعجزنا عن التعامل مع المشكلات والقضايا الشائكة. على النقيض من هذا الذكرى تحررنا وتمنحنا القوة لنخلق بوعي حاضرنا ومستقبلنا.

يستحضر تاريخ اليهود في الفترة الحديثة- أيضاً في أوروبا الشرقية- بشكل ملح "جدل التنوير" أمام أعيننا. أراد مفكرو التنوير تحرير البشرية وتحريرها من عدم نضجها الفكري الذي تجلبه على نفسها - وفقاً لكانط. الذي لا تتفق صورته مع هذا الشخص

المتحرر يجب أن "يتحسن" أو يتعلم. حتى يتحقق هذا الهدف تكون حقوقه أقل منزلة من غيره.

لم تكن فقط الطبقات الاجتماعية الدنيا "بحاجة إلى التحسن" بهذا المعنى بل أغلبية اليهود وخاصة اليهود الشرق أوروبيين. في خضم الخلاف حول مكانتهم في المجتمع التي تبعت كارثة عام ١٦٤٨، بدأ يهود شرق أوروبا في تشكيل "شخصية ثقافية متميزة" ولم يكن معظمهم على استعداد للتخلي عن "يهوديته". لم يكن الدين بالنسبة لهم مجرد شأن خاص- لو كان الأمر هكذا لتحمله التقدميون- بل كان جزءا من هويتهم الاجتماعية والتاريخية.

ارتبط التحول من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي يقوم على الرأسمالية بالتنوير. لم يثر الفكر فقط على العادات التي تحبس البشرية في غياهب الجهل، بل أدت التطورات الاقتصادية والاجتماعية أيضا إلى تلاشي المجتمعات التقليدية. كثيرا ما قام التنوير والرأسمالية بتحرير الناس من قيودهم أرسانهم في مجال الفكر. على سبيل المثال فيما يتصل بعقيدة الكنسية وفي الاقتصاد والعبودية وقواعد النقابات العمالية وغيرها من اللوائح. في الوقت ذاته تطلبت هذه الحرية أيضا من المرء أن يسلم نفسه إلى الاعتماد على أشياء جديدة – مثل العمالة بالأجر في المشاريع الصناعية- أو أثارت الصعاب أمام هؤلاء الذين كان عليهم تلمس طريق جديد في العالم بعد فك عرى الأواصر القديمة. تم "استعمار" نمط حياة الكثيرين والتعتيم عليه من جانب تدخل كيان دولة جديدة لها قوى ممتدة ومن جانب العلاقات الاقتصادية الجديدة.

لم يستطع اليهود تفادي الظهور بمظهر "مستعمري التقدم". كان بوسع الفلاح وضع ثقته التامة في اليهودي "الخاص به"، الشخص الذي يتاجر معه والذي يرعى كل شيء من أجله والذي غالبا ما يمده بالنصح في الشئون العائلية أو الضرائب أو الشئون القانونية والذي

بمثله حتى ضد الدولة إن دعت الحاجة لذلك. غير إن مشاعره تجاه اليهود كانت متضاربة. فتقليديا كان اليهودي "أداة" في يد السادة الإقطاعيين وكان الفلاح نتيجة لذلك يصب جام الكراهية المتراكمة على "الوسيط". بغض النظر عن هذا جلب اليهود شكلاً مختلفا من الاقتصاد إلى القرية: لم يكن المحور- على وجه اليقين "الاقتصاد الأخلاقي" الذي كثيرا ما ينتهك- (إ. ب. طومسون)- بل كسب الرزق من خلال الإدارة الحذرة وفقا لمفاهيم معينة للشرف ولكن بالتفكير بلغة المعايير "الرأسمالية" حتى حين يكون الربح المجني بهذه الطريقة يكفي للعيش فقط. نتيجة لذلك، كان اليهودي موضع ثقة وغريب في آن واحد.

كان المنهج الأيسر هو اعتبار اليهود والخطر الذي يثيره انهيار الجماعات التقليدية تحت وطأة ضغوط التطورات الاقتصادية الجتماعية شيئا واحدا. كلما فقد اليهود مكانتهم بوصفهم وسطاء، بدأوا في خسارة مكانتهم في المجتمعات القديمة. لقد تحملوا مهام اقتصادية واجتماعية جديدة غير أنهم لم يتمكنوا من استعادة الثقة التي كانوا يتمتعون بها من قبل أو على الأقل لم يستعيدوها بنفس القدر. لقد تمزقت الروابط التقليدية. في الوقت ذاته كان من الممكن لمعظم اليهود الحفاظ على مجتمعاتهم وإعطائها حياة جديدة من خلال التفكير الديني الجديد في الحسيدية والأرثوذوكسية وفي الصراع مع الهسكالاة وتوابعها وفي المشاعر المشتركة للقومية اليهودية الشرق أوروبية.

كان من الممكن استغلال غرابة وعزلة أغلب اليهود بمنتهى السهولة لجعلهم كبش فداء في أوقات الأزمات والطواريء خاصة وأن الأسباب الحقيقية كان يتم إخفاؤها في العمليات الاقتصادية والاجتماعية التي أصبحت أكثر تعقيدا. طالما استطاع المرء إلقاء عبء المسئولية على عاتق اليهود ، كان بإمكانه التظاهر بأن له هوية

واضحة بينما في الواقع لم يكن ممكناً إيجاد طريقه. حقيقة أن أغلب اليهود أرادوا الاعتراف بقوميتهم والحصول على المساواة في الحقوق لم تلق قبولاً لدى البولنديين الذين كانوا يناضلون من أجل وعيهم القومي واستقلالهم الوطني. بدلاً من هذا كانوا يرو في اليهود خصومهم القوميين الذين في الوقت ذاته انتزعوا منهم أفضل الوظائف والمراتب الاجتماعية- وهو التطور الذي نجم في الحقيقة عن "الاستماتة من أجل المناصب" وهي خاصية تميز الاقتصاد الرأسمالي الجديد. أصبح اليهود "الآخر" كي يتمكن الناس من الاحتفاظ برباطة جأشهم في ظل التحول الاقتصادي الاجتماعي.

لم يتم الاعتراف بالثقافة ونمط الحياة والقومية اليهودية الشرق أوروبية على قدم المساواة في شرق أوروبا. في المقابل نجد الموقف التقليدي المعادي لليهود الذي انتهجته الكنائس المسيحية والمصالح المادية القوية وفوق كل هذا حقيقة أن المجتمع في أوروبا الشرقية نفسها بدأ للتو السعي وراء حريته ولم يجد ذاته بعد. لم تستجب لصلاة الحاخام إسرائيل وهاجيد كوسيان الذي عاش في نهايات القرن التاسع عشر.

رب العالم، اعلم أن بني إسرائيل يعانون الكثير. إنهم يستحقون الخلاص. إنهم بحاجة إليه. بيد أنك إن لم ترد منحه، لأسباب غير معلومة لي، فعلى الأقل خلص الشعوب الأخرى، والأمم الأخرى ... لكن بسرعة!٣

غير أن الجهود الحازمة لليهود للحصول على حقوق مساوية بدأت في تغيير فكر المزيد من غير اليهود. أوقف الخطر النازي هذا التطور بشكل وحشي. اليوم حين نتذكر عالم اليهود في أوروبا الشرقية في تنوعه وحين نتذكر أنماط الحياة والثقافة والتقاليد وطقوس اليهود، نتمنى استمرارية القوة الداخلية لليهود. ربما منحنا أنفسنا حرية جعل الغريب صديق واعتبار "الآخر" جزءا منا.

الهوامش

الجزء الثاني: يهود شرق أوروبا "نسق ثقافي للحياة"

١ جورج ك. هونيش، [تاريخ بولندا] (شتوتجارت، ١٩٨٣)، ص. ١٤٨ و١٥٠ (بعد هنريك زينكيفيتش الذي كان أول من استخدم مصطلح "فيضان" على الحرب ضد السويد عام ١٦٥٦)

٢ هيرمان جرايفي [اليهود، لمحات من تاريخهم في أوروبا العصور الوسطى وأوروبا العصر الحديث] (درامشتات، ١٩٨٠)، ص. ١٢٧ بالكامل.

٣ شموئيل جوزيف أغنون، [قصة بسيطة] (فرانكفورت ، ١٩٨٧)، ص. ١٦٦ بالكامل.

٤ جيرشوم شوليم، [تيارات رئيسية في الصوفية اليهودية] (فرانكفورت ، ١٩٨٠)، ص. ٨٨.

٥ جيرشوم شوليم، [حول القبالاة ورمزيتها] (فرانكفورت ، ١٩٧٣)، ص. ٢٥٥– ٢٥٨؛ وإيجون إيروين كيرش، [إحياء الغوليم] في [قصص من سبعة جيتوهات] (فرانكفورت ، ١٩٨٢) من ص. ١٧٧– ١٩٤.

٦ شوليم، [تيارات رئيسية في الصوفية اليهودية]، ص. ١٤٢.

٧ المرجع السابق، ص. ٢٢٤ بالكامل.

٨ إسحاق باشيفيس سينجر، حب قديم . قصص من الحياة (ميونيخ، فيينا، ١٩٨٥) ص. ٣٨ ([كلاهما])

٩ شوليم، [تيارات رئيسية في الصوفية اليهودية]، صفحات ٢٨٧. ٣٠١. ٣٠٥.

١٠ ماريان فوكس وزيجمونت هوفمان وموريسي هورن وجيرزي توماس تسيفيسكي [اليهود البولنديون، تاريخ وثقافة] (وارسو، بلا تاريخ [حوالي ١٩٨٣])، ص. ٢٦.

١١ استشهاد أورده شوليم في كتابه [تيارات رئيسية في الصوفية اليهودية]، ص. ٣٤٦، ٣٤٧.

١٢ سيمون دبنو، [تاريخ العالم للشعب اليهودي منذ البدايات الأولى وحتى يومنا هذا] (برلين، ١٩٢٨) الجزء السابع، ص. ١٩٧.

١٣ شوليم [تيارات رئيسية في الصوفية اليهودية]، ص. ٣٤٩.

١٤ استشهاد وارد في [كنيسة ومعبد . دليل تاريخ المسيحيين واليهود . عرض بالمصادر] المحرر كارل هاينريش رينجشتورف وسيجفريد فون كورتزفلايش (ميونيخ، ١٩٨٨) الجزء الثان، ص. ٤٥٩.

١٥ أوردها كارل جروزينجر في كتابه [الحسيدية والحسيديون] و [مصلون ومتمردون]، ص. ١٤٨

١٦ إيلي فيزيل [أرواح مشتعلة] ، (فيينا، ١٩٧٤)، ص. ٨٥.

١٧ جيرشوم شوليم، [الرغبة في المعرفة. اللاهوت اليهودي في القرن العشرين. قراءة]، تحرير شوليم بن شورين وفيرينا لينزين (ميونيخ– زيوريخ، ١٩٨٨) . ص. ٣١١– ٣١٧ بالكامل.

١٨ س. أ. هورودوكي، [تيارات دينية في اليهودية. مع إشارة خاصة للحسيدية] (بيرن –ليبزيج، ١٩٢٠)، ص. ١٨٣.

١٩ إيلي فيزيل، [أرواح مشتعلة]، ص. ١٩٠.
٢٠ شوليم، [تيارات رئيسية في الصوفية اليهودية]، ص. ٣٨٢.
٢١ م. أ. [ربما ماثياس آشر، الاسم المستعار لناثان بيرنباوم]، "اليهود البولنديون ١" (١٩١٦– ١٩١٧) ، ص. ٥٦١. تصف ناثان بيرنباوم يهود شرق أوروبا بوصفهم "جماعة ثقافية منفصلة" فتقول: "عرفناهم "كتلة" ثقافية يهودية ضخمة– ربما الأضخم من نوعها على الإطلاق– تتخللها حركة داخلية ثرية في التاريخ وموجهة بقوة نحو الحاضر وممتلئة بالمستقبل،" [ما كنه يهود شرق أوروبا ؟ معلومات مبدئية]، (فيينا، ١٩١٦)، ص. ١٥. لقد تحدث بالفعل في اول مؤتمر صهيوني عام ١٨٩٧ عن يهود شرق أوروبا وأنهم يملكون ثافتمنفصلة كشيء باد للعيان (مؤتمر الصهيوني في بازل أيام ٢٩. ٣٠. ٣١ أغسطس ١٨٩٧])لابدوأن نواصل في الكتابة عن تاريخ مفهوم أوست يودي. على اي حال يجب التشديد على أن هذا

المفهوم نشأ في الاستخدام اللغوي اليهودي. حقيقة أن "أوست يودي" فيما بعد لعب دورا هاما كفكرة مقولبة عن اليهود في الاضطرابات المعادية للسامية لا يجب أن يؤدي إلى عدم استخدام هذا المصطلح.

٢٢ سالشيا لاندمان، [اليديشية. مغامرة لغة] (فرانكفورت، ١٩٨٦)، ص. ٥٣. ٢٣. في ما يتعلق بالبحث في اللغةوالثقافة اليديشية جاء المعهد العلمي اليديشي (YIVO) في الصدارة تأسس في برلين عام ١٩٢٥ ومع أول مقرله في فيلينوس بليتوانيا عام ١٩٤٠، نقل غلى مدينة نيويورك. منذ انهيار الاتحاد السوفييتي، عاد المعهد للعمل مرة أخرى في فيلينوس. لقد واصل معهد التاريخ اليهودي في وارسو تليد معهد الدراسات اليهودية بالمدينة ففي جامعة كراكو يوجد معهد للتاريخ والثقافة اليهودية. في ذات الوقت تم تأسيس معاهد مماثلة في بلدان أخرى بشرق أوروبا.

٢٣ . صامويل، عالم شوليم أليشيم (نيويورك، ١٩٤٣)، ص. ٢٦ بالكامل، تم الاستشهاد بها في [العالم الغارق]، تحرير جواشيم ريدل (فيينا، ١٩٨٤)، ص. ١٦.

٢٤ ميندیل مویخر سفوریم, **Fischke der Lahme, Bettlerroman** (ليبـــــزيج، ١٩٧٨) ص. ١٩ بالكامل.

٢٥ روزي أوسلاندر حول تشيرنوفيتش التي ولدت بها عام ١٩٠٧ أوردت في كتاب [قصص يهودية شرق أوروبية]، تحرير أولف ديداريش بالتعاون مع أوتو م. ليلين وجيرمانيا جودايكا (ميونيخ، ١٩٨٨، طبعة جديدة، ص. ٣٣.

٢٦ مانيه شبيربير، [سقاة الرب. كل ما جرى ...] (فرانكفورت ، ١٩٩٣) الجزء الأول، ص. ٢٣ بالكامل ولد شبيربير عام ١٩٠٥ في زابلوتوف في جاليشيا .
٢٧ هاينريش هاينه، [عن بولندا] في أعمال هاينريش هاينه الجزء الثاني، تحرير فولفجانج برايزيندانس (فرانكفورت ، ١٩٦٨)، ص. ٦٦ بالكامل.
٢٨ جوزيف روث، [الثقل الزائف. قصة مفتش على الموازين والمقاييس] (كولونيا، ١٩٧٧)، ص. ٢٦ بالكامل.
٢٩ قصة حياة سولومون ميمون. من تأليفه وتحرير كارل فيليب موريس. حررها حديثا تسيفي باتشا (فرانكفورت ، ١٩٤٨)، ص. ١٣
٣٠ سيمون ديبنو، تاريخ الحسيدية (كونيجشتاين، ١٩٨٣– إصدار ثان للطبعة الأولى، ١٩٣١)، الجزء الأول، ص. ٣٢ بالكامل، قارن بينها وبين صفحة ٣٤.
٣١ قصة حياة سولومون ميمون، ص. ٢٢٩؛ حول الظروف البائسة الأخرى في الممتلكات من الأراضي، قارن، على سبيل المثال، ص. من ١٤–٢٣، و ٣٧– ٣٩، و ٦٦– ٧٢.
٣٢ هاينريش هاينه، عن بولندا، ص. ٦٧ بالكامل.
٣٣ ديبنو، تاريخ العالم، الجزء الثامن، ص. ٣٤٠ بالكامل.
٣٤ حول المناقشات والمقترحات الواردة هنا وفيما بعد يمكن العثور على هذه الاستشهادات في كتاب جيرجن هينسيل "أمة بولندية من النبلاء والوسطاء اليهود من ١٨١٥– ١٨٣٠. عن المحاولة الفاشلة لتحرير اليهود في مجتمع غير متحرر"، تاريخ شرق أوروبا المهجور ٣٢ (١٩٨٣)، ص.

١٧٩، ١٨٠، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٦؛ ديبنو، تاريخ عالم، الجزء الثامن، ص. ٣١٧، ٣٦٤.

٣٥ سينجر، حب قديم ("جوشنا وشميلكه")، ص. ١٧ بالكامل.

٣٦ هينسيل، "أمة بولندية من النبلاء"، ص. ١٧٤ بالكامل (مذكرة ١٨١٥) تختلف التفصيلات حول تواريخ

٣٧ شموئيل يوسف أجنون، المنبوذ (فرانكفورت ، ١٩٨٨)، ص. ١٠٨– ١٠٩.

٣٨ جون دويل كلير، روسيا تحشد يهودها. أصول "المسألة اليهودية" في روسيا، ١٧٧٢– ١٨٢٥ (ديكالب، إلينوي، ١٩٨٦)، ص. ٣٤.

٣٩ جوزيف روث، "يهود التيه" (١٩٢٧/ ١٩٣٧)، تحرير هيرمان كيستن، الجزء الثالث (كولونيا، ١٩٧٦)، ص. ٢٩٣– ٣٦٩، هنا ص. ٣٤٥ بالكامل.

٤٠ بينيامين ناثانز، "الصراع والمجتمع ويهود بطرسبرج في أواخر القرن التاسع عشر"، في

٤١ فرانسوا جيزنيت قدم لي بسخاء هذا المصدر. يعكس هذا المصدر نفس نمط التفكير الذي تشتمل عليه "بروتوكولات حكماء صهيون" الزائفة.

٤٢ مانفريد هيلدرماير

٤٣ هنا أدين لرسالة الماجيستير غير المنشورة الخاصة بفرانك مايكل شوستر وعنوانها "الحرب على الجبهة "الوطنية"– ألمان ويهود روسيا في منطقة الحرب بغرب روسيا ١٩١٤– ١٩١٦" (جيسين، ١٩٩٧).

٤٤ ديبنو، تاريخ العالم، الجزء الثامن، ص. ٣٠١ (وفقاً لتقرير روسي صدر عام ١٨١٠). كانت برودي بالقرب من

مدينة لفيف هي مسقط رأس جوزيف روث. كان صاحب الحانة الشخصية المحورية في روايته "تاراباس" (فرانكفورت ، ١٩٨٧) مبنيا على شخصية حقيقية ليهودي موسر عاش بتلك المدينة.

الجزء الثالث: أزمة اليهود في أوروبا الشرقيةهوية جديدة

١ أرقام من جيرجن هينسيل، "أمة بولندية من النبلاء والوسطاء اليهود من ١٨١٥– ١٨٣٠. عن المحاولة الفاشلة لتحرير اليهود في مجتمع غير متحرر"،
٢ شوليم أليشم، "الفصح اليهودي في القرية"، في حكايات يديشية كتبها ميندیل موخر سفوريم وأيزاك لايب بيريتز وشوليم أيشيم، تحرير ليو نادلمان (زيوريخ، ١٩٨٤)، ص. ٣١٠– ٣٢٥، هنا ص. ٣١٣ بالكامل.
٣ شوليم أليشيم، تيفي بائع الحليب (ليبزج، ١٩٨٤)، ص. ٦٤ و ٦٨ بالكامل.
٤ أليشيم، تيفي بائع الحليب، ص. ٩ بالكامل.
٥ أعرب عن امتناني لديسإنكا شفارا لهذا المصدر.
٦ لعب هذا المصطلح أيضا دورا مهما بالنسبة للصهاينة. في المؤتمر الصهيوني الأول ببازل عام ١٨٩٧، تحدث ديفيد فاربشتاين عن الفقراء الذين "يقتاتون على الهواء" (مؤتمر الجماعات الصهيونية في بازل) [٢٩ و ٣٠ و ٣١ أغسطس ١٨٩٧]، البروتوكول الرسمي [فيينا، ١٨٩٨]، ص. ١٠٤) وفي المؤتمر الخامس في بازل عام ١٩٠١ وصف ماكس ناردو "لوفتمينشين" بأنها "نمط يهودي متفرد". فمعا يشكل

"الكثير من رجال الهواء أمة الهواء". لهذا احتاج اليهود في النهاية إلى وطن خاص بهم (ماكس نوردو، كتابات صهيونية، تحرير لجنة العمل الصهيونية [كولونيا، ليبزج، ١٩٠٩]، ص. ١١٧– ١١٨، قارن مع ص. ١٢٩). على الجانب الآخر، فكر في الاستعمار لفلسطين دون ضمانات سياسية– في عبارة وجهت ضد يهود شرق أوروبا الصهيونيين– باحتقار وصفوا [بعمل من الهواء يقوم به رجال الهواء] (من مقابلة نشرت عام ١٩٠٧ في صحيفة العالم، أوردتها أنجيليكا مونتيل، هيرتزيل، حول تأسيس العالم. عن التغيرات والمثالب. من "عالم" هيرتزل حتى "توضيح عالم جديد" ١٨٩٧– ١٩٩٧، تحرير جوانا نيتنبرج وأنطون بيلينكا وروبرت س. فيستريش [فيينا، ١٩٩٧]، ص. ١٩– ٦٦، هنا ص. ٤٣). نعت الصهيوني الماركسي بير بوروخوف العمال اليهود بأنهم "بروليتاريا الهواء" لأنهم كانوا يعثرون بالكاد على وظائف في الصناعة الحديثة (ماتيتياهو مينتز، "بير بوروخوف"، في دراسات حول الصهيونية ٥ [١٩٨٢]، ص. ٣٣– ٥٣، هنا ص. ٣٦). لتوضيح نطاق استخدام المصطلح، سأستشد بكلمات هانا أرينديت، التي أشارت إلى أولئك "رجال الهواء" المفكرين " بين اليهود الغربيين" الذين على الرغم من تمتعهم بالأمان الاقتصادي لم يستطيعوا أن يجدوا مكانا لهم في المجتمع اليهودي أو غير اليهودي (هانا أرينديت، أزمة الصهيونية، مقالات وتعليقات]، تحرير أيكه جايزيل وكلاوس بيترمان [برلين، ١٩٨٩]، ص. ٦٤).

٧ سالو و. بارون، اليهود الروس في عهد قيصرين والسوفييت (نيويورك، ١٩٨٧)، الطبعة الثانية، ص. ٩٥.

٨ شوليم أليشيم، ميناحيم مينديل المضارب، (ميونيخ، زيزريخ، ١٩٦٤)، ص. ١٢.
٩ أيزاك بابل، أعمال، تحرير فريتز ميراو، الجزء الثاني (برلين، ١٩٧٣)، ص. ٩٣.
١٠ أنسيلم هيلمان، الأنظمة التعاونية اليهودية في روسيا (برلين، ١٩١١)، ص. ٣٣
١١ بيرنارد د. فاينريب، التاريخ الاقتصادي الحديث لليهود في روسيا وبولندا. منذ التقسيم الأول لبولندا إلى رحيل الكسندر الثاني (١٧٧٢– ١٨٨١) (هيلدشليم– نيويورك، ١٩٧٢)، الطبعة الثانية، ص. ٥٦.
١٢ هيلمان، الأنظمة التعاونية اليهودية في روسيا (برلين، ١٩١١)، ص. ١٠١ بالكامل (على نسق ل. روشلن، ١٩٠٩).
١٣ ألكسندر كارلباخ، "حاخام ألماني يتجه شرقاً"، في الكتاب السنوي السادس لمعهد ليو بايك (١٩٦١)، ص. ٦٠– ١٢١، هنا ص. ١٠٨. تبين الخطابات بقوة الظروف التي أحاطت بيهود وارسو وتجربة مقابلة يهود شرق أوروبا.
١٤ إ. م. ديجور، اليهود في الاقتصاد الروسي، في اليهود الروس (١٨٦٠– ١٩١٧)، تحرير جيكوب فرومكين، جريجور أرونسون وأليكسيس جولدن فايسر (نيويورك– لندن، ١٩٦٦)، ص. ١٢٠– ١٤٣، هنا ص. ١٤٣.
١٥ بابل، الأعمال الكاملة، الجزء الأول، ص. ٦٨.
١٦ أيزاك باشيفيس سينجر، العقار (ميونيخ، ١٩٨١)، ص. ١١–١٦.
١٧ بوليسلاف بروس، الدمى (برلين، ١٩٥٤)، ص. ٨٧، ٦٥٨، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٦، ٨٣٤ بالكامل.

١٨ إرجع إلى إينجه بلانك، الهسكلاه والتحرير. طبقة المفكرين الروسية اليهودية و"المسألة اليهودية" على أعتاب "الإصلاحات العظمى"]، في اليهود في وسط وشرق أوروبا. منذ التحرير وحتى الحرب العالمية الأولى، تحرير جوتهولد رودي (ماربورج، ١٩٨٩)، ص. ١٩٧– ٢٣١، هنا ص. ٢١٣.

١٩ ارجع إلى الحياة في شتيتل روسي. على خطى أنسكي. المجموعة اليهودية لمتحف الدولة للأعراق في بطرسبرج، كتالوج لأحد الشتيتلات (كولونيا، فرانكفورت ، ١٩٩٣).

٢٠ ارجع إلى فيرسونكينا فيلت [العالم الضائع]، تحرير جواشيم ريدل (فيينا، ١٩٨٤)، ص. ٧٧– ٩٠.

٢١ بانايت استراتي، عائلة بيرلموتر، في قضية العمل، الجزء الثامن، تحرير هاينريش شتيلر (فرانكفورت ، ١٩٨٨)، ص. ١٦٥.

٢٢ ميكال ستيرزيمسكي، المحادثة التي لم تكتمل. مذكرات (ليبزيج، ١٩٨٥)، ص. ٨٦.

٢٣ إسرائيل جوشوا سينجر، الأخوة الأشكيناز (ميونيخ– فيينا، ١٩٨٦)، ص. ٥٩ بالكامل.

٢٤ بنهاية القرن التاسع عشر، تأسست مدافن يهودية جديدة في مدينة لودز بمساعدة إسرائيل بوزنانسكي الذي دفن هناك في ١٩٠٢ وتم تشييد ضريح مهيب وضخم لتخليد ذكراه. إرجع إلى المدافن اليهودية في لودز، أقدم مدافن يهودية بأوروبا، تحرير موتسيم ستوكي و. لودزي (لودز، ١٩٨٨).

٢٥ ألفريد دوبلن، رحلة في بولندا (ميونيخ، ١٩٨٧)، ص. ٧٤.

٢٦ إستير كرايتمان، ديبورا- الحمقى يتراقصون في الجيتو (فرانكفورت ، ١٩٨٤)، ص. ٦.
٢٧ أيزاك باشيفيس سينجر، عائلة موسكات (ميونيخ، ١٩٨٧)، الطبعة الثانية، ص. ٥٧٣.
٢٨ قصة حياة سولومون ميمون، من تأليفه وتحرير كارل فيليب موريتس. حررها حديثا تسيفي باتشا (فرانكفورت ، ١٩٨٤)، ص. ٢٣٠. تزوج ميمون نفسه في عمر الحادية عشرة وأنجب أول أبنائه في الرابعة عشر؛ ارجع إلى ص. ٥٢- ٦٦.
٢٩ إسرائيل جوشوا سينجر، الأخوة الأشكيناز، ص. ١٣٦.
٣٠ كرايتمان، ديبورا، ص. ١١.
٣١ أيزاك باشيفيس سينجر، حب قديم. قصص حب (ميونيخ- فيينا، ١٩٨٥)، ص. ١٣ ("جوشنا وشميلكه").
٣٢ أليشيم، تيفي بائع الحليب، ص. ٣٨.
٣٣ شمايرا ليفن، ب"شعرك الرمادي يا سليمان. قصص يهودية شرق أوروبية، تحرير أولف ديدريش بالاشتراك مع أوتو م. ليليان وجيرمانيا جودايشا (ميونيخ، ١٩٨٨)، طبعة جديدة، ص. ١٣٥- ١٤٢، هنا ص. ١٤.
٣٤ أولريش جيرهارد، الحياة اليهودية في الطقوس اليهودية. دراسات وملاحظات ١٤٠٢- ١٩٣٣. مراجعة وتعليق تسيفي سوفر. تحرير ديتريش جيرهارد ومالوين ميزر وبيتر ميزر (هايدلبرج، ١٩٨٠)، ص. ١٤٥.
٣٥ بيلا شاجال، الأضواء المتوهجة (راينبك، ١٩٦٦)، ص. ٣٠ بالكامل.

٣٦ المرجع السابق، ص. ٤٢. بصفة عامة كان يتم إشعال شمعتين ليوم السبت.
٣٧ شاموئيل يوسف أجنون، المنبوذ (فرانكفورت ، ١٩٨٨)، ص. ٢٣.
٣٨ سينجر، عائلة موسكات، ص. ٣٦٠– ٣٦٣.
٣٩ بيلا شاجال، الأضواء المتوهجة، ص. ٦٦.
٤٠ روث، يهود التيه، ص. ٢٩٣– ٣٦٩، هنا ص. ٣١٥.
٤١ سينجر، عائلة موسكات، ص. ٢٥٣ بالكامل.
٤٢ سينجر، العقار، ص. ٣٠٧. للمزيد من المعلومات عن الحيدر والتسيت تسيت ارجع للجزء السابق.
٤٣ روث، يهود التيه، ص. ٣٠٨ بالكامل.
٤٤ روث، يهود التيه، ص. ٢٩٨.
٤٥ وردت في كتاب آرثر هيرتزبرج، شالوم أمريكا ! تاريخ اليهود في العالم الجديد (ميونيخ، ١٩٩٢)، ص. ٨٨– ٨٩.
٤٦ الكسندر جراناخ، هاهو رجل يرحل. رواية حياة (ميونيخ، ١٩٩٠)، ص. ١، ١٥، ٦٧، ٧٠– ٧١.
٤٧ فرايهير فينير فون فينبرج، النمسا وجيشها (ليبزج، ١٨٤٧؟)، ص. ٨٢ بالكامل. في رأيي أن هذا الموقف يتسم به أيضا فترة تلت هذا. أشكر ريتشارد ويدور على المرجع.
٤٨ كارولي إيوتفيس، محامي الدفاع في محاكمة تيسزايسلر. كما ورد على لسان والتر بيتش: الهجرة اليهودية من جاليشيا ويهود الجر"، في اليهود في شرق ووسط أوروبا، ص. ٢٧١– ٢٩٣، هنا ص. ٢٨١ بالكامل. أشكر والتر بيتش أيضا على مصادر أخرى تقوم على بحثه الجاري.

٤٩ للمزيد من التفاصيل، ارجع إلى بيتر هابر، بداية الصهيونية في المجر (١٨٧٩- ١٩٠٤) (كولونيا- فايمر- فيينا، ٢٠٠١).

٥٠ سيمون ديبنو، قصة العالم عن اليهود. من البدايات المبكرة حتى يومنا هذا (برلين، ١٩٢٨)، الجزء التاسع، ص. ٤٢٥، ٤٩١.

٥١ فرانز كافكا، خطابات ١٩٠٢- ١٩٢٤ (فرانكفورت، ١٩٥٨)، ص. ٣٣٧. قارن مذكراته على سبيل المثال عن لقاءاته بيهود شرق أوروبيين: يوميات ١٩١٠- ١٩٢٣ (فرانكفورت، ١٩٥١)، على سبيل المثال في ص. ١٧٨، ٢١٠ بالكامل، ٤٦٥، ٤٧٨ بالكامل.

٥٢ هانز كون، بشأن المسألة العربية، في اليهودي الجحزء الرابع (١٩١٩- ١٩٢٠): ص. ٥٦٦- ٥٧١. ودت في اليهود في بوهيميا وموارفيا. قاريء تاريخي، تحرير فيلما إيجرز (ميونيخ، ١٩٨٦)، ص. ٢٣٢- ٢٣٧، هنا ص. ٢٣٤، و٢٣٥.

٥٣ فرانز كافكا، خطابات إلى ميلانو (فرانكفورت، ١٩٥٢)، ص. ٥٧.

الجزء الرابع: محاولات الإبادة وأمل جديد

١ يعطي والتر كازوفمان وصفاً تفصيلياً لمثال الأوديسة في رسالة الماجيستير غير المنشورة الخاصة به. سياسة الأقسام اليهودية في الحزب الشيوعي متخذا الأوديسا مثالا، ١٩٢٠- ١٩٢٥. ماقبل التاريخ والمسار (برلين، ١٩٩٤).

٢ جوزيف روث، يهود التيه (١٩٢٧/ ١٩٣٧)، الأعمال الكاملة، تحرير هيرمان كيستن، الجزء الثالث. (كولونيا، ١٩٧٦)، ص. ٢٩٣– ٣٦٩، هنا ص. ٣٥٧.

٣ كلا الاستشهادين في ماريان فوكس، وسيجموند هوفمان، وموريسي هورن وجيرسي توماس تسيفيسكي، اليهود البولنديون. تاريخ وثقافة (وارسو، غير مؤرخ [حوالي ١٩٨٣])، ص. ٤٤٠.

٤ أيزاك باشيفيس سينجر، حب قديم، قصص حب (ميونيخ– فيينا، ١٩٨٥)، ص. ٢٢٦ ("المخطوطة").

٥ ورد على لسان بيرند مارتن، اضطهاد اليهود وإبادتهم في عهد الدكتاتورية الاشتراكية القومية، في كتاب اليهود كأقلية في التاريخ، تحرير برند مارتن وإرنست شولين (ميونيخ، ١٩٨١)، ص. ٢٩٠– ٣١٥، هنا ص. ٢٩٥– ٢٩٨؛ فولفجانج شيفلر، الطريق إلى الحل النهائي، معاداة السامية من كراهية اليهود حتى الهولوكوست، تحرير هربرت أ. شتراوس ونوربرت كامبي (بون، ١٩٨٥)، ص. ١٨٦– ٢١٤، هنا ص. ١٩١. ينبغي أن توضح هذه نوع الأفكار التي أثرت على مسار فكر لقادة النازية ودعاية النازي. لا أقصد أن ألمح إلى أنه كان هناك خط مباشر من الاستمرارية منذ المظاهر الأولى وحتى العمليات الأخيرة لقتل اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية.

٦ جوزيف روث، يهود التيه، مقدمة للطبعة الجديدة، ص. ٣٦٨– ٣٦٩.

٧ وردت في ليس هناك طريق للعودة ... قصص و للجيتو من فيلنا، تحرير فلوريان فروبند وآخرون (فيينا، ١٩٩٢)، ص. ٥٣. الشبه ينطبق على إيشعياء إصحاح ٥٣: ٧.

٨ هانا كرال، أن تحبط أعمال الرب (فرانكفورت ، ١٩٩٢)، ص. ٤٧– ٤٨.
٩ مالجورزاتا نيتزابيتوفيسكا وتوماس توماستسيفيسكي، آخر اليهود في بولندا (شافهاوسين وآخرون، ١٩٨٧)، ص. ٥٥.
١٠ في نفس الموضع. ص. ٥٧– ٧٥، هنا ص. ٧٤؛ احتفالات البارميتسفاه، ص. ١٣٧– ١٥٠؛ نموذج للتغير الواعي للتقاليد، ص. ١٠٤.
١١ في نفس الموضع، ص. ١٥٣– ١٧٢. الاستشهاد، ص. ١٦٣– ١٦٤، ١٧٢، تم تصحيح جزء منها بالرجوع إلى الأصل البولندي الذي ظهر عام ١٩٩٣ (بفضل كلاوس ب. فريدريش)

الخاتمة

١ مانيه شبيربر، وردت وفقاً لكتابه "شعرك الرمادي يا سليمان. قصص يهودية شرق أوروبية، تحرير أولف ديدريش بالاشتراك مع أوتو م. ليليان وجيرمانيا جودايشا (ميونيخ، ١٩٨٨)، طبعة جديدة، ص. ٥٦.

٢ جيرشوم شوليم، [تيارات رئيسية في الصوفية اليهودية] (فرانكفورت ، ١٩٨٠)، ص. ٣٨٢.
إيلي ويزل، ارواح مشتعلة (فيينا، ١٩٧٤)، ص. ١٢٤.